دار المنظومة
DAR ALMANDUMAH
الرواد في قواعد المعلومات العربية

العنوان:	أحوال الجملة الطلبية في القرآن الكريم : دراسة وصفية استقرائية تحليلية
المؤلف الرئيسي:	البشير، قسم االله محمد
مؤلفين آخرين:	التهامي، محمد الحسن فضل المولد(مشرف)
التاريخ الميلادي:	2011
موقع:	الخرطوم
الصفحات:	1 - 235
رقم MD:	699060
نوع المحتوى:	رسائل جامعية
الدرجة العلمية:	رسالة دكتوراه
الجامعة:	جامعة القرآن الكريم والعلوم الإسلامية
الكلية:	كلية الدراسات العليا
الدولة:	السودان
قواعد المعلومات:	Dissertations
مواضيع:	القرآن الكريم، بلاغة القرآن الكريم، الأسلوب القرآني، الجملة الطلبية
رابط:	http://search.mandumah.com/Record/699060

© 2016 دار المنظومة. جميع الحقوق محفوظة.
هذه المادة متاحة بناء على الإتفاق الموقع مع أصحاب حقوق النشر، علما أن جميع حقوق النشر محفوظة. يمكنك تحميل أو طباعة هذه المادة للاستخدام الشخصي فقط، ويمنع النسخ أو التحويل أو النشر عبر أي وسيلة (مثل مواقع الانترنت أو البريد الالكتروني) دون تصريح خطي من أصحاب حقوق النشر أو دار المنظومة.

الباب الثاني

من أقسام الجملة الطلبية في القرآن الكريم الاستفهام

الفصل الأول : تعريف الاستفهام وأدواته

الفصل الثاني:تطبيقات على الاستفهام من القرآن الكريم

الفصل الأول

تعريف الاستفهام وأدواته

المبحث الأول : تعريف الاستفهام لغة واصطلاحاً

المطلب الأول : الاستفهام لغة

المطلب الثاني : الاستفهام اصطلاحاً

المبحث الثاني : أدوات الاستفهام

المطلب الأول : الأداة الهمزة وما يستفهم بها

المطلب الثاني : الأداة هل وما يستفهم بها

المطلب الثالث: بقية أدوات الاستفهام وما يستفهم بها

المبحث الثالث:خروج الاستفهام عن مقتضى الظاهر

المبحث الأول

تعريف الاستفهام لغة واصطلاحاً

المطلب الأول : الاستفهام لغة

استفهمه : سأله أن يفهمه ، وقد استفهمني الشئ فأفهمته وفهمته تفهيماً([1]) .

الاستفهام : استعلام ما في ضمير المخاطب ، وقيل هو طلب حصول صورة الشئ في الذهن فإن كان تلك الصورة وقوع نسبة بين الشيئين أولا وقوعها فحصولها هو التصديق وإلا فهو التصور([2]) .

المطلب الثاني : الاستفهام اصطلاحاً

هو طلب حصول صورة الشئ في الذهن بأدوات مخصوصة كالهمزة ونحوها([3]) .

الاستفهام طلب ما في الخارج أو تحصيله في الذهن ، ولا يكون حقيقة إلا إذا صدر من شاك مصدق بإمكان الإعلام ، فإن غير الشاك إذا استفهم يلزم تحصيل الحاصل ، وإذا لم يصدق بإمكان الإعلام انتفت فائدة الاستفهام([4]) .

ويمكن الرجوع إلى تعريفات أخرى للاستفهام وهي لا تبعد كثيراً عما سبق ولكن تزيد المعنى توضيحاً فمثلاً هذا التعريف الذي يقول صاحبه (الاستفهام طلب المعرفة بشئ لم يكن معروفاً من قبل ، أو لم يكن مؤكداً لمعرفته عدداً ، وصفة ، ونوعاً ، وجودة ، وذلك بإحدى أدواته)([5]) .

كذلك يمكن أخذ التعريف الذي فيه مزيد من التوضيح والتفصيل وهو : (الهمزة والسين والتاء تفيد معنى الطلب في هذه الكلمة ، أي (الاستفهام) والمطلوب هو الفهم . والفهم يعني حصول صورة المراد فهمه في النفس وإقامة هيأته في العقل ، وهذا هو الذي قاله البلاغيون في تعريف الاستفهام : فهو طلب حصول صورة

([1]) ابن منظور – لسان العرب ج١٢ مادة (فهم) ص٤٥٩ .

([2]) علي بن محمد الشريف الجرجاني –كتاب التعريفات بدون (ط ت) بيروت لبنان ١٩٧٨م ص١٧-١٨ .

([3]) عبد المتعال الصعيدي – بغية الإيضاح ط٨ بدون (ت) القاهرة ميدان الأزهر ج٢ ص٣٤ .

([4]) البرهان في علوم القرآن ج١٢ ص٣٢٦-٣٢٧ .

([5]) البلاغة العربية المفهوم والتطبيق ص١٢١ .

الشئ في الذهن . وطلب إدراك المفرد هو الذي يسميه البلاغيون تصوراً ، وطلب إدراك العلاقة بين الشيئين ؛ أي : النسبة هو الذي يسمى تصديقاً)([1]) .

ومن خلال استعراض هذه التعريفات للاستفهام سواء في اللغة أم في الاصطلاح نجد العلاقة بينة بين التعريف اللغوي والاصطلاحي ، وهو طلب حصول صورة الشئ في الذهن ، وهو الذي تفيده حروف الزيادة في الكلمة (الهمزة ، والسين ، والتاء) إذ من معانيها الطلب .

المبحث الثاني

([1]) دلالات التراكيب ص٢٠٣-٢٠٤ .

أدوات الاستفهام

والألفاظ الموضوعة للاستفهام : الهمزة ، وهل ، وما ، ومن ، وأي ، وكم ، وكيف ، وأين ، وأنى ، ومتى ، وأيان([1]) .

ثم إن أدوات الاستفهام منها ما هو خاص بأشياء معينة فلا يسأل به عن غيرها ، ومنها ما هو صالح لأن يسأل بها عن كل شئ .

والهمزة وحدها هي التي يسأل بها عن كل شئ في الجملة .

و(هل) وحدها هي التي يسأل بها عن النسبة (التصديق) خاصة ، أما بقية أدوات الاستفهام فكل واحدة منها يسأل بها عن تصور شئ معين([2]) .

واعتبارات ضبط نظام الجملة تتناسب مع أحوال هذه الأدوات من حيث سعة الاستعمال ، ودقته وبساطته .

فهذه الأدوات التي يطلب بها تصور أشياء محددة ، لا يلتزمون في بناء الجملة معها شيئاً زائداً عن الضبط العام في النظام الإعرابي .

و(هل) التي يطلب بها التصديق ، يلاحظ في بناء الجملة معها ، من الاعتبارات ما يتناسب مع دقة هذا المطلب .

أما (الهمزة) التي يطلب بها تصور كل ما في الجملة ، كما يطلب بها حصول النسبة ، أي : التصديق ، فإن الاعتبارات تكثر في صياغة الجملة الداخلة عليها ، وتدق حتى تحتاج إلى حذر ووعي في استعمالها ، والكشف عنها كشف عن حكمة بالغة الدقة ، ينطوي عليها منطق هذا اللسان([3]) .

([1]) الخطيب القزويني – الإيضاح في علوم البلاغة – ط١ (١٤٢٥هـ-٢٠٠٤م) دار الكتاب العربي – بيروت – لبنان ص٩٦ .

([2]) دلالات التراكيب ص٢٠٥ .

([3]) المرجع نفسه ص٢٠٦ .

المطلب الأول : الأداة الهمزة وما يستفهم بها

الهمزة أم باب الاستفهام ، لأنها لا تعدل عن الاستفهام إلى باب آخر في حين أن بقية أدوات الاستفهام تشترك في أبواب أخر فتتصرف إليها من الاستفهام ، أو تتصرف إلى الاستفهام منها ، كالظرفية ، أو الجزاء([1]) .

ولكون الهمزة أم الباب ، اختصت بأحكام لفظية ، ومعنوية ، فمنها : كون الهمزة لا يستفهم بها ، حتى يهجس في النفس إثبات ما يستفهم عنه ، ومنها : اختصاصها بالاستفهام . ومنها : أنها تستعمل لإنكار إثبات ما يقع بعدها ، وذلك نحو قوله تعالى : (أَتَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ)([2]) . ومنها أنه يقع الاسم منصوباً بعدها بتقدير ناصب ، أو مرفوعاً بتقدير رافع يفسره ما بعده ، كقولك : (أزيداً ضربت ، وأزيد قائم ؟)([3]) .

وإن شئت فقل : ليس في أدوات الاستفهام ما إذا اجتمع بعده الاسم والفعل ، يليه الاسم في فصيح الكلام إلا الهمزة ، فتقول : أزيد قام ؟ ولا تقول : هل زيد قام ؟ إلا في ضرورة ، بل الفصيح : هل قام زيد ؟([4]) .

ومنها أنها تقع مع (أم) المتصلة ، وأم المتصلة لا تقع مع (هل) ، وأما (أم) المنقطعة فتقع فيهما جميعاً . فإذا قلت : (أزيد عندك أم عمرو ؟) فهذا الموضع لا تقع فيه (هل) ما لم تقصد إلى المنقطعة([5]) .

ومنها أنها تدخل على الشرط ، تقول : (أإن أكرمتني أكرمتك ، وأإن تخرج أخرج معك ؟) (أإن تضرب أضرب ؟ ولا تقول : (هل إن تخرج أخرج معك ؟)([6]) .

([1]) أحمد محمد عبد المكرم (رسالة ماجستير) في الهمزة دلالاتها وأساليبها واستعمالاتها – جامعة الخرطوم كلية الدراسات العليا (٢٠٠٢م) ص٧٩ .

([2]) الأعراف : ٢٨ .

([3]) البرهان في علوم القرآن ج٢ ص٣٤٨ .

([4]) المرجع نفسه الجزء والصفحة .

([5]) المرجع نفسه ج٢ ص٣٤٨-٣٤٩ .

([6]) المرجع نفسه ج٢ ص٣٤٩ .

ومنها جواز حذفها ، كقوله تعالى : (وَتِلْكَ نِعْمَةٌ تَمُنُّهَا عَلَيَّ)([1]) وقوله تعالى : (هَذَا رَبِّي)([2]) في أحد الأقوال ، وهي على حد قول القرطبي([3]) : (والمعنى : أهذا ربي ! ومثل هذا يكون رباً ! فحذف الهمزة) .

وقراءة ابن محيصن : (سَوَاءٌ عَلَيْهِمْ أَأَنْذَرْتَهُمْ)([4]) ، فقد وردت عنه : (أنذرتهم) بهمزة واحدة مقصورة([5]) .

ومنها تقديمها على الواو وغيرها من حروف العطف : فمثال تقدمها على الواو ، قوله تعالى : (أَوَكُلَّمَا عَاهَدُوا عَهْدًا)([6]) ، ومثال تقدمها على الفاء ، قوله تعالى : (أَفَتَطْمَعُونَ أَنْ يُؤْمِنُوا لَكُمْ)([7]) ، ومثال تقدمها على ثم قوله تعالى : (أَثُمَّ إِذَا مَا وَقَعَ آَمَنْتُمْ بِهِ)([8]) . فتقدم الهمزة على حروف العطف : الواو ، والفاء ، وثم . وكان القياس تأخيرها عن العاطف ، فيقال : (فألم أكرمك ؟) (وألم أحسن إليك) . كما تقدم على سائر أدوات الاستفهام ، نحو قوله تعالى : (وَكَيْفَ تَكْفُرُونَ وَأَنْتُمْ تُتْلَى عَلَيْكُمْ آَيَاتُ اللَّهِ وَفِيكُمْ رَسُولُهُ)([9]) ، وقوله تعالى : (أَمْ هَلْ تَسْتَوِي الظُّلُمَاتُ وَالنُّورُ)([10]) ، وقوله تعالى : (فَأَيْنَ تَذْهَبُونَ)([11]) . فلا يجوز أن يؤخر العاطف عن شئ من هذه الأدوات ، لأن أدوات الاستفهام جزء من جملة الاستفهام ، والعاطف لا يقدم عليه جزء من المعطوف ، وإنما خولف هذا في الهمزة لأنها أصل أدوات الاستفهام ، فأرادوا تقديمها تنبيهاً على أنها الأصل في الاستفهام ، لأن الاستفهام له صدر الكلام([12]) .

([1]) الشعراء : ٢٢ .

([2]) الأنعام : ٧٦ .

([3]) القرطبي : بقي بن مخلد بن يزيد أبو عبدالرحمن الأندلسي القرطبي أحد الأعلام وصاحب التفسير (طبقات المفسرين ج١ ص٤٠ .

([4]) البقرة : ٦ .

([5]) البرهان ج٢ ص٣٤٩ .

([6]) البقرة : ١٠٠ .

([7]) البقرة : ٧٥ .

([8]) يونس : ٥١ .

([9]) آل عمران : ١٠١ .

([10]) الرعد : ١٦ .

([11]) التكوير : ٢٦ .

([12]) البرهان ج٢ ص٣٥٠ .

والهمزة لطلب التصديق ، والمسؤول عنه بها هو ما يليها ، والتصديق هو النسبة أو العلاقة بين كل كلمتين([1]) .

كذلك تكون الهمزة لطلب التصور ، وهو تحصيل صورة المسئول عنه في الذهن ، كتحصيل صورة المسند إليه والمسند ، وما يتبعه من متعلقات وقيود ، كالمفعول ، والحال والظرف ، والجار والمجرور ، وما شابه ذلك . لأن هذه كلها داخلة في هيأة المعنى وتحديد صورته .. وطلب المفرد من هذه الآحاد ، هو الذي يسميه البلاغيون تصوراً ، لأنك بسؤالك عنه تريد أن تتصور هذا المفرد ما هو؟([2]) .

والهمزة التي تكون لطلب التصديق ، لا يذكر معها معادل . وإذا جاءت (أم) بعدها كانت منقطعة بمعنى – بل – كقول الشاعر([3]) :

ولست أبالي بعد فقدي مالكاً أموتي ناءٍ أم هو الآن واقع

والجواب عنها في طلب التصديق يكون (بنعم) أو (لا) ؛ أي : بالإيجاب أو النفي .

كذلك تكون الهمزة لطلب التصديق إذا وليها الفعل ، كذا إذا وليها المفعول المتقدم على فاعله ، وكان التقديم لتقوية الحكم ، كان المسئول عنه التصديق به ، وهذا كقولك : (أعمراً عرفت ؟) .

كذلك إذا وليتها جملة اسمية خبرها ليس فعلاً ، فيكون المطلوب بها التصديق ، مثل قولك : (أزيد قائم ؟)([4]) .

والهمزة التي لطلب التصور ، يكون الجواب معها بتعيين المسئول عنه([5]) .

([1]) انظر الإيضاح ص٩٦ ، ودلالات التراكيب ص٢٠٤ .

([2]) دلالات التراكيب ص٢٠٤ .

([3]) بغية الإيضاح ج٢ ص٣٤ ، والبيت للشاعر : متمم بن نويرة اليربوعي

([4]) المرجع نفسه ج٢ ص٣٥ .

([5]) المرجع نفسه والجزء والصفحة .

المطلب الثاني : الأداة هل وما يستفهم بها

هل لطلب التصديق فحسب . كقولك : هل قام زيد ؟ – وهل عمرو قاعد ؟ ويمتنع قولك : هل زيد قام أم عمرو ؟ – لأن وقوع المفرد فيه بعد – أم – دليل على أنها متصلة بطلب تعيين أحد الشيئين مع العلم بثبوت الحكم . فلا يصح اجتماع هل وأم المتصلة،ويصح اجتماعها و–أم– المنقطعة لأنها بمعنى–بل – كقول الشاعر([1]) :

ألا ليت شعري هل تغيرت الرحا رحا المثل أم أضحت بفلج كما هيا

وهل تخصص المضارع بالاستقبال ، فلا يصح أن يقال : – هل تضرب زيداً وهو أخوك ؟ – لأنه يفيد وقوع الضرب في الحال . ولاختصاص هل بالتصديق ، وتخصيصها المضارع بالاستقبال وكأن لها مزيد اختصاص بما كونه زمانياً أظهر كالفعل . أما تخصيصها المضارع بالاستقبال فظاهر ، وأما اختصاصها بالتصديق ، فلأن الفعل لا يكون إلا صفة ، والتصديق حكم بالثبوت ، أو الانتفاء ، والنفي والإثبات إنما يتوجهان إلى الصفات ، لا إلى الذوات ، ولكون لها مزيد اختصاص بالفعل ، كان قوله تعالى : (فَهَلْ أَنْتُمْ شَاكِرُونَ)([2]) أدل على طلب الشكر من قولنا : فهل تشكرون – وقولنا : فهل أنتم تشكرون – لأن إبرازها ما سيتجدد في معرض الثابت أدل على كمال العناية بحصوله ، من إبقائه على أصله ، ويمكن أن يؤخذ من هذا ، أن – هل – لا يعدل بها عن الجملة الفعلية إلى الجملة الاسمية ، إلا إذا أريد بها إبراز ما سيتجدد في معرض الثابت ، وذلك لكمال العناية بحصوله([3]) .

والألفاظ الباقية لطلب التصور فقط ، لكنه تصور مشوب بشئ من التصديق ، لأن هذا شأن التصور المطلوب في الاستفهام ، ولهذا يصح الجواب عنه أحياناً بالتصديق ، كقوله تعالى : (كَمَا قَالَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ لِلْحَوَارِيِّينَ مَنْ أَنْصَارِي إِلَى اللَّهِ قَالَ الْحَوَارِيُّونَ نَحْنُ أَنْصَارُ اللَّهِ)([4]) .

([1]) المرجع نفسه ج٢ ص٣٦ . والبيت لمالك بن الريب

([2]) الأنبياء : ٨٠ .

([3]) بغية الإيضاح ج٢ ص٣٦-٣٧ .

([4]) المرجع نفسه ج٢ ص٣٨ ، والآية في سورة الصف رقم : ١٤ .

المطلب الثالث : بقية أدوات الاستفهام وما يستفهم بها

وهذه الأدوات الموضوعة للاستفهام من غير (الهمزة ، وهل) تتمثل في الآتي :

١/ (ما) وهي تستعمل لما لا يعقل ، وقيل : يطلب بها : إما شرح الاسم ، كقولنا: (ما العنقاء ؟) وإما ماهية المسمى ، كقولنا : (ما الحركة ؟)([١]) .

ويقول السكاكي([٢]) : (ما) للسؤال عن الجنس ، وفي التنزيل : (فَمَا خَطْبُكُمْ أَيُّهَا الْمُرْسَلُونَ)([٣]) ، بمعنى : أي أجناس الخطوب خطبكم ، وفيه قوله تعالى : (مَا تَعْبُدُونَ مِنْ بَعْدِي)([٤]) أي : أي من في الوجود تؤثرونه في العبادة ؟

ويسأل بها كذلك عن الوصف ، تقول : ما زيد ، وما عمرو ؟ ، وجوابه : الكريم ، أو الفاضل([٥]) .

٢/ (من) قال السكاكي : هو للسؤال عن الجنس من ذوي العلم ، تقول : من جبريل ؟ بمعنى أبشر هو أم ملك أم جني ؟ ومنه قوله تعالى ؛ حكاية عن فرعون : (قَالَ فَمَنْ رَبُّكُمَا يَا مُوسَى)([٦]) ؛ أي : أملك هو أم بشر أم جني ؟ ، منكراً لأن يكون لهما رب سواه ؛ لادعائه الربوبية لنفسه .

وقيل : هو للسؤال عن العارض المشخص لذي العلم ، وهذا أظهر ؛ لأنه إذا قيل : (من فلان ؟) يجاب : (زيد) ونحوه مما يفيد التشخيص([٧]) .

٣/ (أيّ) للسؤال عما يميز أحد المتشاركين في أمر يعمهما ، ومنها قوله تعالى : (أَيُّ الْفَرِيقَيْنِ خَيْرٌ مَقَامًا)([٨]) ؛ أي : أنحن أم أصحاب محمد عليه السلام ؟ وفيه

([١]) انظر دلالات التراكيب ص٢٠٥ ، والإيضاح ص٩٧ .

([٢]) السكاكي : يوسف بن أبي بكر بن محمد أبو يعقوب السكاكي من أهل خوارزم علامة إمام في العربية والمعاني والبيان والأدب والعروض والشعر ولد سنة ٥٥٤هـ ، (معجم الأدباء ، ياقوت الحموي ، دا رالكتب العلمية ، ١٤١١هـ – ١٩٩١م ، ط١ ، ج٥ ص٦٤٧) .

([٣]) الحجر : ٥٧ ، والذاريات : ٣١ .

([٤]) البقرة : ١٣٣ .

([٥]) السكاكي مفتاح العلوم ط١ (١٤٢٠هـ-٢٠٠٠م) دار الكتب العلمية – بيروت لبنان ص٤٢٠ .

([٦]) طه : ٤٩ .

([٧]) مفتاح العلوم ص٤٢٢ ، والإيضاح ص٩٨ .

([٨]) مريم : ٧٣ .

كذلك قوله تعالى : (أَيُّكُمْ يَأْتِينِي بِعَرْشِهَا)([1]) ؛ أي : الإنسي أم الجني ؟([2]) .

٤/ (كم) للسؤال عن العدد ، قال الله تعالى : (قَالَ قَائِلٌ مِنْهُمْ كَمْ لَبِثْتُمْ)([3]) ؛ أي : كم يوماً ، أو كم ساعة ؟ . وكذلك قوله تعالى : (كَمْ لَبِثْتُمْ فِي الأَرْضِ عَدَدَ سِنِينَ)([4]) ، ومنه قوله تعالى : (سَلْ بَنِي إِسْرَائِيلَ كَمْ آتَيْنَاهُمْ مِنْ آيَةٍ بَيِّنَةٍ)([5]) . ومنه قول الفرزدق([6]) :

كم عمة لك يا جرير وخالة فدعاء قد حلبت علي عشاري

فيمن روى بالنصب ، أي نصب (عمة ، وخالة) ، فعلى رواية النصب ، فكم استفهامية ، وعلى رواية الجر ، فكم خبرية ، وعلى رواية الرفع تحتمل الاستفهامية والخبرية([7]) .

٥/ (كيف) يسأل بها عن الحال ، كقوله تعالى : (كَيْفَ تَكْفُرُونَ بِاللَّهِ وَكُنْتُمْ أَمْوَاتًا فَأَحْيَاكُمْ ثُمَّ يُمِيتُكُمْ ثُمَّ يُحْيِيكُمْ ثُمَّ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ)([8]) . فهي هنا للسؤال عن الحال في موضع التعجب([9]) .

٦/ (أين) يسأل بها عن المكان ، كقوله تعالى : (وَقِيلَ لَهُمْ أَيْنَ مَا كُنْتُمْ تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ هَلْ يَنْصُرُونَكُمْ أَوْ يَنْتَصِرُونَ)([10]) .

٧/ (أنى) تستعمل تارة بمعنى (كيف) ؛ أي : يسأل بها عن الحال ، وعليه قوله تعالى : (نِسَاؤُكُمْ حَرْثٌ لَكُمْ فَأْتُوا حَرْثَكُمْ أَنَّى شِئْتُمْ)([11]) ؛ أي : كيف شئتم ، وتأتي

([1]) النمل : ٣٨ .

([2]) الإيضاح ص٩٨ .

([3]) الكهف : ١٩ .

([4]) المؤمنون : ١١٢ .

([5]) البقرة : ٢١١ .

([6]) الفرزدق بن غالب الشاعر التميمي من أهل البصرة كنيته أبو فراس واسمه همام بن غالب ، ولقبه الفرزدق توفى سنة ١١٠هـ ، (المجروحين ، ابن حبان ج٢ ص٢٠٤) .

([7]) الإيضاح ص٩٨-٩٩ .

([8]) البقرة : ٢٨ .

([9]) انظر دلالات التراكيب ص٢٠٥ .

([10]) الشعراء : ٩٢-٩٣ .

([11]) البقرة : ٢٢٣ .

تارة أخرى بمعنى (من أين) أي : يسأل بها عن المكان ، وعليه قوله تعالى : (أَنَّى لَكِ هَذَا)(١) ؛ أي : من أين لك ؟(٢) .

٨/ وأما (متى) و(أيان) فللسؤال عن الزمان ، وقيل أن (أيان) تستعمل في مواضع التفخيم ، كقوله تعالى : (يَسْأَلُ أَيَّانَ يَوْمُ الْقِيَامَةِ)(٣) ، وقوله تعالى : (يَسْأَلُونَ أَيَّانَ يَوْمُ الدِّينِ)(٤) ، أما مثال (متى) فقوله تعالى : (وَيَقُولُونَ مَتَى هَذَا الْوَعْدُ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ)(٥) .

وهذه الألفاظ الموضوعة للاستفهام ، سواء الهمزة ، أو هل ، أو غيرها ، كثيراً ما تستعمل في معان بحسب ما يناسب المقام(٦) .

وقبل الخوض في المعاني التي يخرج إليها الاستفهام لابد من الإشارة إلى أمر مهم ، وهو هل يقع الاستفهام على حقيقته في القرآن ، أم يجئ مجازاً ؟ وهذه المعاني ما حقيقتها ؟ ، وبم تفسر ؟ . فقد ذكر العلماء الأجلاء آراء مختلفة حول هذا الموضوع ، نستعرضها قبل ذكر هذه المعاني التي يخرج إليها الاستفهام .

فبدءاً يمكن طرح هذه الأسئلة المنطقية وهي : أيقع الاستفهام في القرآن ؟ وهل يصدر من المولى عز وجل ؟ .

قال ابن هشام(٧) : (لا يكون الاستفهام من المولى عز وجل على حقيقته)(٨) .

وقال الدماميني : (لا يكون الحقيقي في القرآن إلا على دعوى أنه مجاز ، لأنه يستلزم الجهل وهو على الله محال)(٩) .

---

(١) آل عمران : ٣٧ .

(٢) الإيضاح ص٩٩ .

(٣) القيامة : ٦ .

(٤) الذاريات : ١٢ .

(٥) يونس : ٤٨ ، الأنبياء : ٣٨ ، والنمل : ٧١ ، وسبأ : ٢٩ ، ويس : ٤٨ ، والملك : ٢٥ .

(٦) انظر الإيضاح ص٩٩ .

(٧) ابن هشام : أبو محمد عبدالملك بن هشام بن أيوب الحميري المعافري وهو من مصر وأصله من البصرة ، توفى بمصر سنة ٢١٣هـ ، (وفيات الأعيان ج٣ ص١٧٧) .

(٨) ابن هشام الأنصاري – مغني اللبيب في شرح الأعاريب ج٢ ص٢٨٥ .

(٩) شرح المغني ص١-٢١ .

وقال الثمانيني : (الله لا يستفهم ، ويجوز أن يوبخ ويقرر ، ويبكت)([1]) .

وبما أن الاستفهام : هو طلب الفهم إذا كان السائل جاهلاً ، وقد يكون عالماً وغرضه طلب فهم لآخر غير فاهم . يتضح من ذلك إمكان حمل الاستفهامات الواردة في القرآن على حقيقتها ، مع تنزيه البارئ عز وجل عن أن يطلب الفهم لنفسه ، فلا حاجة له في ذلك . تعالى عن ذلك علواً كبيراً .

يقول الزركشي([2]) : (قال بعض الأئمة : ما جاء على لفظ الاستفهام في القرآن ، فإنما يقع في خطاب الله تعالى على معنى أن المخاطب عنده علم ذلك الإثبات أو النفي حاصل ، فيستفهم عنه نفسه تخبره به ، إذ قد وضعه الله عندها ، فالإثبات كقوله تعالى : (وَمَنْ أَصْدَقُ مِنَ اللَّهِ حَدِيثًا)([3]) . والنفي كقوله تعالى : (هَلْ أَتَى عَلَى الإِنْسَانِ حِينٌ مِنَ الدَّهْرِ لَمْ يَكُنْ شَيْئًا مَذْكُورًا)([4]) ، ومعنى ذلك أنه قد حصل لكم العلم بذلك تجدونه عندكم إذا استفهمتم أنفسكم عنه ، فإن الرب تعالى لا يستفهم خلقه عن شئ ، وإنما يستفهمهم ليقررهم ، ويذكرهم أنهم قد علموا حق ذلك الشئ)([5]) .

فقد ورد في القرآن الاستفهام الذي يفيد معناه الحقيقي ولكنه قليل ، فمن أمثلته ؛ قوله تعالى : (قَالَ يَا أَيُّهَا الْمَلأُ أَيُّكُمْ يَأْتِينِي بِعَرْشِهَا قَبْلَ أَنْ يَأْتُونِي مُسْلِمِينَ)([6]) ، وقوله تعالى : (قَالَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ لِلْحَوَارِيِّينَ مَنْ أَنْصَارِي إِلَى اللَّهِ)([7]) ، وقوله تعالى : (وَيَسْأَلُونَكَ مَاذَا يُنْفِقُونَ قُلِ الْعَفْوَ)([8]) . وأساليبه التي وردت في القرآن مع قلتها كانت محكية دائماً من قول البشر ، لذا وقعت جملة الاستفهام

([1]) شرح اللمع ج٢ ص٢٨٥ .

([2]) الزركشي محمد بن بهادر بن عبدالله العالم العلامة المصنف بدر الدين أبو عبدالله المصري الزركشي ، (طقات الشافعية ج٣ ص١٦٧) .

([3]) النساء : ٨٧ .

([4]) الإنسان : ١ .

([5]) البرهان في علوم القرآن ج٢ ص٣٢٧ .

([6]) النمل : ٣٨ .

([7]) سورة الصف : ١٤ .

([8]) البقرة : ٢١٩ .

الحقيقي معمولة للقول أو للسؤال . وقد غلبت عليها دلالة (ما) الاستفهامية ، وهذه الأساليب وليها الجواب عليها بلسان من وجه إليه السؤال . فدلالة هذه الأساليب على الاستفهام الحقيقي أظهر على ما فيها من معنى بلاغي([1]) .

المبحث الثالث

([1]) عبد المنعم السيد فودة – أساليب الاستفهام في القرآن بدون (ط ت) ص١٩١-١٩٢ .

خروج الاستفهام عن مقتضى الظاهر

والمعاني التي يخرج إليها الاستفهام بحسب ما يناسب المقام ، أو ما يسميه البلاغيون ، خروج الاستفهام عن مقتضى الظاهر ، فهذه المعاني البلاغية للاستفهام نوعان([1]) :

١/ معان أصلية محصورة لا يخرج أسلوب من أساليب الاستفهام عن الدلالة على أحدها وتلك المعاني هي :

(الاختبار ، والإنكار ، والنفي ، والتقرير ، والتكثير ، والأمر ، والتمني ، والتشويق ، والتلطف ، والتعظيم ، والتحقير) .

٢/ معان فرعية تنبثق من الأولى وتصاحبها ، كالتعجب ، والتهكم ، والوعيد ، والعتاب ، والتحسر ، والتيئيس ، والتحريض ، والتثبيت ، .. وغير ذلك([2]) .

وينبغي لمن يريد أن يكون دقيقاً وهو يتكلم عن الغرض البلاغي للاستفهام أن يبين المعنى الأصيل ، والمعاني الفرعية التي تتبعه ، فيقول مثلاً : (إنكار واقع وتوبيخ وتعجيب .. الخ)([3]) .

وأول هذه المعاني التي يخرج إليها الاستفهام :

١/ الاختبار : وذلك حيث يكون السائل عالماً ؛ ويريد امتحان المخاطبين ، واختبار معارفهم ، كقوله تعالى : (قِيلَ أَهَكَذَا عَرْشُكِ قَالَتْ كَأَنَّهُ هُوَ وَأُوتِينَا الْعِلْمَ مِنْ قَبْلِهَا)([4]) ، فالمراد اختبار بلقيس أتهتدي إلى عرشها أم لا([5]) .

ومنه قوله تعالى : (وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ مَاذَا أَنْزَلَ رَبُّكُمْ قَالُوا أَسَاطِيرُ الأَوَّلِينَ)([6]) . وقوله تعالى : (وَقِيلَ لِلَّذِينَ اتَّقَوْا مَاذَا أَنْزَلَ رَبُّكُمْ قَالُوا خَيْرًا)([7]) . والغرض من الاستفهام : اختبار المخاطبين ليظهر ما هم عليه من كفر أو إيمان([1]) .

([1]) المرجع نفسه ص٢٤٧ .

([2]) المرجع نفسه والصفحة .

([3]) المرجع نفسه ص٢٤٨ .

([4]) النمل : ٤٢ .

([5]) المرجع نفسه ص١٩٣ .

([6]) النحل : ٢٤ .

([7]) النحل : ٣٠ .

وأسلوب الاختبار يعقبه الجواب الذي قد يتبع بالجواب الصحيح ، كقوله تعالى : (قَالَ كَمْ لَبِثْتَ قَالَ لَبِثْتُ يَوْمًا أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ قَالَ بَلْ لَبِثْتَ مِائَةَ عَامٍ)([٢]) . وأساليب الاختبار قليلة في القرآن ، وهي كبقية الأغراض البلاغية يسوغ أن تصدر من المولى عز وجل([٣]) .

٢/ الاستبطاء : وعليه قوله تعالى : (حَتَّى يَقُولَ الرَّسُولُ وَالَّذِينَ آَمَنُوا مَعَهُ مَتَى نَصْرُ اللَّهِ أَلا إِنَّ نَصْرَ اللَّهِ قَرِيبٌ)([٤]) .

٣/ التعجب : وقبل الخوض في هذا الأسلوب يحسن بنا أن نقف على معناه ، وهل هو يجئ من الله سبحانه وتعالى ؟ .

ففي اللغة : العُجبُ والعَجَبُ : إنكار ما يرد عليك لقلة اعتياده([٥]) .

وجاء في البرهان : قال ابن فارس([٦]) : التعجب هو تفضيل الشئ على أضرابه .

وقال ابن الضائع : هو استعظام صفة خرج بها المتعجب منه عن نظائره([٧]) .

وقال الزمخشري([٨]) في تفسير سورة الصف : معنى التعجب:تعظيم الأمر في قلوب السامعين؛لأن التعجب لا يكون إلا من شئ خارج عن نظائره وأشكاله([٩]) .

وقال الرماني([١٠]) : المطلوب في التعجب الإبهام ؛ لأن من شأن الناس أن

([١]) المرجع نفسه والصفحة .

([٢]) البقرة : ٢٥٩ .

([٣]) المرجع نفسه والصفحة .

([٤]) البقرة : ٢١٤ .

([٥]) لسان العرب مادة (عجب) ج١ ص٥٨٠ .

([٦]) ابن فارس : هو نجم الدين عيسى بن محمد بن عيسى ابن فارس المسلمين بدر بن رزبك الغساني الدمشقي ، (الوفيات ج١ ص٣٢١) .

([٧]) البرهان في علوم القرآن ج٢ ص٣١٧ .

([٨]) محمود بن عمر بن محمد بن عمر أبو القاسم الزمخشري الخوارزمي جار الله ، العلامة إمام اللغة والنحو والبيان بالإتفاق ، من تصانيفه : الكشاف ، والفائق في غريب الحديث ، وأساس البلاغة ، وغيرها من الكتب ، توفى ببلده سنة ٥٣٨هـ ، (البلغة ، ج١ ص٧٥) .

([٩]) المرجع نفسه الجزء والصفحة ، والكشاف ج٤ ص٣٨٦ .

([١٠]) الرماني : هو علي بن عيسى الرماني صاحب العربية معتزلي ، وهو واسع المعرفة في علوم كثيرة من الفقه والقرآن والنحو واللغة والكلام ، (لسان الميزان لابن حجر ، ج٤ ، ص٢٤٨) .

يتعجبوا بما لا يعرف سببه ، وكلما استبهم السبب كان التعجب أحسن ، قال : وأصل التعجب إنما هو للمعنى الخفي سببه ، والصيغة الدالة عليه تسمى تعجباً ، يعني مجازاً([1]) .

ثم وضعوا للتعجب صيغاً من لفظه وهي : (ما أفعله) و(أفعل به) ، وصيغاً من غير لفظه نحو : (كبر) في نحو قوله تعالى : (كَبُرَتْ كَلِمَةً تَخْرُجُ مِنْ أَفْوَاهِهِمْ)([2]) ، وقوله تعالى : (كَبُرَ مَقْتًا عِنْدَ اللَّهِ)([3]) وقوله تعالى : (كَيْفَ تَكْفُرُونَ بِاللَّهِ)([4]) .

هل يجوز إطلاق التعجب في حق الله تعالى ؟ فقيل بالمنع ؛ لأن التعجب استعظام يصحبه الجهل ، والله سبحانه منزه عن ذلك . وبه جزم ابن عصفور فقال : فإن ورد ما ظاهره ذلك صرف إلى المخاطب ، كقوله تعالى : (فَمَا أَصْبَرَهُمْ عَلَى النَّارِ)([5]) ؛ أي : هؤلاء يجب أن يتعجب منهم([6]) .

وقيل بالجواز ، لقوله تعالى : (فَمَا أَصْبَرَهُمْ عَلَى النَّارِ) – إن قلنا (ما) تعجبية لا استفهامية ، لقوله تعالى (بَلْ عَجِبْتَ)([7]) ، في قراءة بعضهم بالضم ، وهي قراءة حمزة([8]) والكسائي([9]) وخلف([10]) ، بتاء المتكلم المضمومة والمعنى على

([1]) البرهان ج٢ ص٣١٧ .

([2]) الكهف : ٥ .

([3]) غافر : ٣٥ ، الصف : ٣ .

([4]) البقرة : ٢٨ .

([5]) البقرة : ١٧٥ .

([6]) البرهان ج٢ ص٣١٩ .

([7]) الصافات : ١٢ .

([8]) حمزة : هو حمزة بن حبيب الزيات أبو عمارة المقرئ ولد سنة ٨٠هـ ، وتوفى سنة ١٥٨هـ ، وقيل ١٥٦هـ ، (الكاشف ، الذهبي ج١ ص٣٥١) .

([9]) الكسائي : هو علي بن حمزة الكسائي الإمام أبو الحسن المقرئ النحوي أحد الأعلام ولد سنة ١٢٠هـ ، رحل إلى البصرة فأخذ العربية عن الخليل بن أحمد (معرفة القراء الكبار على الطبقات والأعمار ، الذهبي ، مؤسسة الرسالة ، بيروت(١٤٠٤هـ)تحقيق بشار عواد معروف ج١ ص١٢)٠ .

([10]) خلف هو خلف بن هشام بن ثعلب البزار المقرئ البغدادي ، ثقة له اختيار في القراءات ، (تقريب التهذيب ، ابن حجر العسقلاني ، ج١ ص١٥٤) .

هذه القراءة : قل يا محمد : بل عجبت أنا ، أو أن هؤلاء من رأى حالهم يقول : عجبت([1]) .

ويقول الزركشي : والمختار الرأي الأول ، وهو القول بالمنع ، وما وقع منه أول بالنظر إلى المخاطب ؛ أي : علمت أسباب ما يتعجب منه العباد ، فسمي العلم بالعجب عجباً([2]) .

وخلاصة الأمر : أن التعجب لا يقع من المولى عز وجل بالمعنى الذي يصح أن يسند إلينا ، وما دام المولى يخاطب عباده بلغاتهم فلابد أن يكلمهم بما ألفوا ، وليفهموا عنه يصور لهم المعاني بما اصطلحوا عليه من ألفاظ من غير أن يكون لاتخاذه تلك اللغات البشرية وسيلة لإفهام عباده ، دلالة على أنه يشبه خلقه، أو يجري عليه ما يجري عليهم من انفعال ، أو شعور . تعالى الله عن ذلك علواً كبيراً (لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ)([3]) .

والتعجب الذي أسند إلى الله سبحانه وتعالى قد قصد به الإنكار ، والتعظيم، وتعجيب عباده ، لذا يحسن القول في أساليبه التي صدرت من المولى عز وجل ، أنها للتعجيب([4]) .

وغالباً ما يصحب التعجب أساليب الإنكار ، ولأنه وثيق الصلة به ، فجاء في أساليب إنكار الواقع ، في قوله تعالى : (أَتَأْمُرُونَ النَّاسَ بِالْبِرِّ وَتَنْسَوْنَ أَنْفُسَكُمْ وَأَنْتُمْ تَتْلُونَ الْكِتَابَ أَفَلَا تَعْقِلُونَ)([5]) ، وفي أساليب إنكار الوقوع ، قوله تعالى : (أَوْ كَالَّذِي مَرَّ عَلَى قَرْيَةٍ وَهِيَ خَاوِيَةٌ عَلَى عُرُوشِهَا قَالَ أَنَّى يُحْيِي هَذِهِ اللَّهُ بَعْدَ مَوْتِهَا)([6]) ؛ أي : لا يحييها مع تعجب القائل الذي مر على قرية من المؤمنين المصدقين بذلك([7]) .

([1]) البرهان ج٢ ص٣١٩ .

([2]) المرجع نفسه الجزء والصفحة .

([3]) أساليب الاستفهام في القرآن ص٢١٧ ، والآية من سورة الشورى رقم : ١١ .

([4]) انظر المرجع نفسه والصفحة .

([5]) البقرة : ٤٤ .

([6]) البقرة : ٢٥٩ .

([7]) المرجع نفسه ص٢١٨ .

والتعجب الذي يصحب الإنكار لا يكون إلا من شئ واقع دائماً ، وقد يجئ التعجيب مع التنبيه وذلك في أساليب : (أرأيت ، ألم تر) حيث يرد التعجيب مما يتلوها ، وذلك في القرآن كثير ، كما يكثر التعجيب في الأفعال كثرة ظاهرة ، ويقل في النسب ، كما أنه لا يكون من الذوات ، بل مما جرى لها ، وتكثر فيه استعمالات أسماء الاستفهام (أنى ، وكيف)([1]) .

٤/ التنبيه على الضلال ، وعليه قوله تعالى : (فَأَيْنَ تَذْهَبُونَ)([2]) .

٥/ الوعيد : وعليه قوله تعالى : (أَلَمْ نُهْلِكِ الأَوَّلِينَ)([3]) .

٦/ الأمر : وهو كما في قوله تعالى : (فَهَلْ أَنْتُمْ مُسْلِمُون)([4]) ؛ أي : أسلموا . كذلك قوله تعالى : (فَهَلْ مِنْ مُدَّكِرٍ)([5]) ؛ أي : ادكروا .

٧/ ومنها التقرير : ويشترط في الهمزة أن يليها المقرر به ، كقولك : أفعلت ؟ إذا أردت أن تقرره بأن الفعل كان منه ، وكذلك : أأنت فعلت ؟ إذا أردت أن تقرره بأنه الفاعل .

وذهب الشيخ عبد القاهر والسكاكي ، وغيرهما أن قوله تعالى : (أَأَنْتَ فَعَلْتَ هَذَا بِآلِهَتِنَا يَا إِبْرَاهِيمُ)([6]) من هذا الضرب ، قال الشيخ : لم يقولوا ذلك له عليه السلام وهم يريدون أن يقر لهم بأن كسر الأصنام قد كان ، ولكن أن يقر بأنه منه كان ، وكيف وقد أشاروا إلى الفعل في قولهم (أَأَنْتَ فَعَلْتَ هَذَا) ، وقال عليه السلام : (بَلْ فَعَلَهُ كَبِيرُهُمْ هَذَا)([7]) ، ولو كان التقرير بالفعل في قولهم : (أأنت فعلت) لكان الجواب : (فعلت ، أو لم أفعل) .

وإن أردت أن تقرره بالمفعول قلت له : أزيداً ضربت ؟([8]) .

([1]) المرجع نفسه ص٢١٨-٢١٩ .

([2]) التكوير : ٢٦ .

([3]) المرسلات : ١٦ .

([4]) هود : ١٤ .

([5]) القمر : ١٥ .

([6]) الأنبياء : ٦٢ .

([7]) الأنبياء : ٦٣ .

([8]) الإيضاح ص٩٩-١٠٠ ، ودلائل الإعجاز ص١١٣ .

ومن هنا يفهم أن المسئول عنه في التقرير هو ما يلي الهمزة مباشرة .

والتقرير له معنيان هما : التحقيق والثبوت ، وطلب الاعتراف ، والتقرير الذي يراد به طلب الاعتراف من المخاطب ، فيكثر في الاستفهام المثبت ، كذلك نجد أن التقرير تصحبه معان كثيرة أخرى ، مثل التهكم ، والتوبيخ ، والوعيد ، والعتاب ، والتعجيب .. وغير ذلك من المعاني البلاغية الأخرى([1]) .

يكثر إيلاء الهمزة المقرر به ، كما أنه إذا كان التقرير قد أدى باسم من أسماء الاستفهام ، فإن مدلول ذلك الاسم هو المقرر به([2]) .

٨/ ومنها الإنكار : وهو استفهامك أمراً تنكره ، فإذا أنكرت أمراً فإنك تظهر أنك نافر منه ، راغب عنه ، لأنك لا تألفه ، بل لا تعرفه على حد قوله تعالى : (فَلَمَّا رَأَى أَيْدِيَهُمْ لا تَصِلُ إِلَيْهِ نَكِرَهُمْ)([3]) ، وقول الأعشى:

وأنكرتني وما كان الذي نكرت من الحوادث إلا الشيب والصلعا

ويقول عبد القاهر الجرجاني([4]) : أن الإنكار يجئ ليتنبه السامع حتى يرجع إلى نفسه فيخجل ويرتدع ويعي بالجواب ، إما لأنه ادعى القدرة على فعل لا يقدر عليه ، وإما لأنه هم بأن يفعل ما يستصوب فعله ، إذا روجع فيه تنبه وعرف الخطأ ، وإما لأنه جوز وجود أمر لا يوجد مثله([5]) .

وينقسم الإنكار إلى : إنكار التوبيخ ، وهو بمعنى ما كان ينبغي أن يكون ، وهذا يكون في إنكار الواقع في الإيجاب ، أي : أن الأفعال المنكرة واقعة يراد تقبيحها ، والتعجيب منها ، وتوبيخ فاعلها([6]) .

([1]) انظر أساليب الاستفهام في القرآن ٢٢٢-٢٢٩ .

([2]) المرجع نفسه ص٢٢٩ .

([3]) هود : ٧٠ .

([4]) عبدالقاهر الجرجاني : هو عبدالقاهر بن عبد الرحمن أبو بكر الجرجاني النحوي وكان شافعي المذهب متكلماً على طريقة الأشعري وفيه دين وله فضيلة تامة بالنحو ، (طبقات الشافعية ، ج١ ص٢٥٢) .

([5]) دلائل الإعجاز ص١١٩-١٢٠ .

([6]) انظر الإيضاح ص١٠٠ ، وأساليب الاستفهام في القرآن ص١٩٤-١٩٥ .

ومثال هذا قوله تعالى : (أَتَأْتُونَ الْفَاحِشَةَ مَا سَبَقَكُمْ بِهَا مِنْ أَحَدٍ مِنَ الْعَالَمِينَ)(١) وقوله تعالى : (أَقَتَلْتَ نَفْسًا زَكِيَّةً بِغَيْرِ نَفْسٍ)(٢) ، فإتيان الفاحشة وقتل النفس واقعان من المخاطبين .

وكما يكون إنكار التوبيخ واقعاً في الإيجاب ؛ يكون كذلك لإنكار الواقع في النفي ، ومعه يبقى النفي مراداً في الأساليب(٣) .

وعليه قوله تعالى : (أَلَيْسَ مِنْكُمْ رَجُلٌ رَشِيدٌ)(٤) ، أنكر عليهم أن لا رشيد فيهم ، ووبخهم ، وطلب منهم أن يعقلو ، وعليه قول الأعشى :

ألست منتهياً عن نحت أثلتنا ولست ضائرها ما أطت الإبل

وكذلك منه إنكار التكذيب ، وهو بمعنى (لم يكن) كقوله تعالى : (أَفَأَصْفَاكُمْ رَبُّكُمْ بِالْبَنِينَ وَاتَّخَذَ مِنَ الْمَلائِكَةِ إِنَاثًا)(٥) ، وقوله تعالى : (أَصْطَفَى الْبَنَاتِ عَلَى الْبَنِينَ)(٦) ، أو بمعنى (يكون) نحو قوله تعالى : (أَنُلْزِمُكُمُوهَا وَأَنْتُمْ لَهَا كَارِهُونَ)(٧) ، وعليه قول امرء القيس :

أيقتلني والمشرفي مضاجعي ومسنونة زرق كأنياب أغوال ؟

فيمن روى (أيقتلني؟) بالاستفهام .

والإنكار كالتقرير ، يشترط أن يلي المنكر الهمزة ، كقوله تعالى : (وَقَالُوا لَوْلَا نُزِّلَ هَذَا الْقُرْءانُ عَلَى رَجُلٍ مِنَ الْقَرْيَتَيْنِ عَظِيمٍ أَهُمْ يَقْسِمُونَ رَحْمَةَ رَبِّكَ)(٨)؛ أي : ليسو هم المتخيرين للنبوة من يصلح لها ، المتولين لقسمة رحمة الله التي لا يتولاها إلا هو بباهر قدرته ، وبالغ حكمته(٩) .

---

(١) الأعراف : ٨٠ .

(٢) الكهف : ٧٤ .

(٣) أساليب الاستفهام في القرآن ص١٩٥ .

(٤) هود : ٨٧ .

(٥) الإسراء : ٤٠ .

(٦) الصافات : ١٥٣ .

(٧) طه : ٢٨ .

(٨) الزخرف : ٣١ ، ٣٢ .

(٩) الإيضاح ص١٠٠-١٠١ .

٩/ ومنها التهكم : نحو قوله تعالى : (أَصَلاتُكَ تَأْمُرُكَ أَنْ نَتْرُكَ مَا يَعْبُدُ آبَاؤُنَا أَوْ أَنْ نَفْعَلَ فِي أَمْوَالِنَا مَا نَشَاءُ)(١) ، ويصحب التهكم الإنكار(٢) .

١٠/ ومنها ، التحقير : ويصحب الإنكار وغيره من معاني الاستفهام ، كالتقرير ، والنفي .. وغير ذلك من المعاني ، وكثرت دلالته مع (من ، وما) وهو أكثر ما يتعلق بالأسماء . وقد يكون التحقير احتواء أسلوب الاستفهام على اسم إشارة ، كقوله تعالى : (أَهَذَا الَّذِي يَذْكُرُ آلِهَتَكُمْ)(٣) .

١١/ ومنها التهويل : كقراءة ابن عباس رضي الله عنهما : (وَلَقَدْ نَجَّيْنَا بَنِي إِسْرَائِيلَ مِنَ الْعَذَابِ الْمُهِينِ مِنْ فِرْعَوْنَ)(٤) ، بلفظ الاستفهام ، لما وصف الله تعالى العذاب بأنه مهين لشدته ، وفظاعة شأنه ؛ أراد أن يصور كنهه ، قال (من فرعون) ؛ أي : أتعرفون من هو في فرط عتوه وتجبره ؟ ما ظنكم بعذاب يكون هو المعذب به ؟ ثم عرف حاله بقوله : (إِنَّهُ كَانَ عَالِيًا مِنَ الْمُسْرِفِينَ)(٥) .

١٢/ ومنها الاستبعاد : نحو قوله تعالى : (أَنَّى لَهُمُ الذِّكْرَى وَقَدْ جَاءَهُمْ رَسُولٌ مبِينٌ ثُمَّ تَوَلَّوْا عَنْهُ وَقَالُوا مُعَلَّمٌ مَجْنُونٌ)(٦) .

١٣/ ومنها التوبيخ والتعجيب جميعاً : كقوله تعالى : (كَيْفَ تَكْفُرُونَ بِاللَّهِ وَكُنْتُمْ أَمْوَاتًا فَأَحْيَاكُمْ ثُمَّ يُمِيتُكُمْ ثُمَّ يُحْيِيكُمْ ثُمَّ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ)(٧) ، أي : كيف تكفرون ، والحال أنكم عالمون بهذه القصة . أما التوبيخ ، فلأن الكفر مع هذه الحال ، ينبئ عن الانهماك في الغفلة ، أو الجهل . وأما التعجب ؛ فلأن هذه الحال تأبى أن لا يكون للعاقل علم بالصانع وعلمه به يجعله يأبى أن يكفر ، وصدور الفعل مع الصارف القوي مظنة تعجب(٨) .

---

(١) هود : ٨٧ .

(٢) انظر الإيضاح ص١٠٢ ، وأساليب الاستفهام في القرآن ص٢٤١ .

(٣) أساليب الاستفهام في القرآن والآية من سورة الأنبياء : ٣٦ .

(٤) الدخان : ٣٠ ، ٣١ .

(٥) الدخان : ٣١ ، الإيضاح ص١٠٢ .

(٦) المرجع نفسه ص١٠٣ ، والآية من سورة الدخان : ١٣ ، ١٤ .

(٧) البقرة : ٢٨ .

(٨) الإيضاح ص١٠٣ .

الفصل الثاني

تطبيقات على الاستفهام من القرآن الكريم

المبحث الأول: تحليل معاني الهمزة في القرآن الكريم

المبحث الثاني : أساليب أم المنقطعة

المبحث الثالث : تحليل معاني (هل) في القرآن الكريم

المبحث الرابع:تحليل معاني بقية أدوات الاستفهام في القرآن

المبحث الأول

تحليل معاني الهمزة في القرآن الكريم

أولاً : الهمزة وبعدها الماضي :

إذا وقع بعدها الماضي متصلاً بها أو منفصلاً منها بالعاطف ، فهي للإنكار غالباً .

وإذا كان الماضي قد حدث ووقع فعلاً ، فهو إنكار واقع يراد به تقبيح الفعل والتوبيخ عليه والتعجيب من فاعله . كقوله تعالى : (قَالَ لَهُ صَاحِبُهُ وَهُوَ يُحَاوِرُهُ أَكَفَرْتَ بِالَّذِي خَلَقَكَ مِنْ تُرَابٍ)(١) .

وقوله تعالى : (حَتَّى إِذَا جَاءُوا قَالَ أَكَذَّبْتُمْ بِآيَاتِي وَلَمْ تُحِيطُوا بِهَا عِلْمًا)(٢) . وقوله تعالى : (أَوَعَجِبْتُمْ أَنْ جَاءَكُمْ ذِكْرٌ مِنْ رَبِّكُمْ عَلَى رَجُلٍ مِنْكُمْ)(٣) . وقوله تعالى : (قُلْ أَفَاتَّخَذْتُمْ مِنْ دُونِهِ أَوْلِيَاءَ)(٤) .

فالكفر والتكذيب ، والعجب ، والاتخاذ ، وقعت من المخاطبين فهم موبخون عليها لأنها قبيحة ما كان ينبغي صدورها عنهم(٥) .

وقد تحل الحسرة محل التوبيخ ، كقوله تعالى : (أَعَجَزْتُ أَنْ أَكُونَ مِثْلَ هَذَا الْغُرَابِ)(٦) أنكر ابن آدم هذا العجز الذي وقع منه ، وتعجب وتحسر ، وليس في الآية توبيخ(٧) .

فإذا دخلت على فعل الأمن أفادت مع إنكار الواقع والتوبيخ والتعجيب ، التهديد كقوله تعالى : (أَأَمِنْتُمْ مَنْ فِي السَّمَاءِ أَنْ يَخْسِفَ بِكُمُ الأَرْضَ)(٨) وقوله

---

(١) الكهف : ٣٧ .

(٢) النمل : ٨٤ .

(٣) الأعراف : ٦٣ .

(٤) الرعد : ١٦ .

(٥) أساليب الاستفهام في القرآن ص١٤ .

(٦) المائدة : ٣١ .

(٧) المرجع نفسه والصفحة .

(٨) الملك : ١٦ .

تعالى : (أَوَأَمِنَ أَهْلُ الْقُرَى أَنْ يَأْتِيَهُمْ بَأْسُنَا ضُحًى وَهُمْ يَلْعَبُونَ)(١) . وقوله تعالى: (أَفَأَمِنَ أَهْلُ الْقُرَى أَنْ يَأْتِيَهُمْ بَأْسُنَا بَيَاتًا وَهُمْ نَائِمُونَ)(٢) .

فأمنهم واقع ، والاستفهام لإنكار ذلك ؛ أي : ما كان لهم أن يأمنوا ، وفي ذلك بعث للمخافة في نفوسهم ، وتهديدهم بأن يحل بهم العذاب(٣) .

ومن أساليب إنكار الماضي بها أن ينكر فعلان واقعان لا على سبيل التعيين بقصد التهكم ، والسخرية ، وذلك في أساليب الهمزة وأم المتصلة . كقوله تعالى : (قَالَ يَا إِبْلِيسُ مَا مَنَعَكَ أَنْ تَسْجُدَ لِمَا خَلَقْتُ بِيَدَيَّ أَسْتَكْبَرْتَ أَمْ كُنْتَ مِنَ الْعَالِينَ)(٤) .

فأي الفعلين كان واقعاً ؛ من استكبار إبليس ، أو علوه ، فهو منكر وإذا اعتبرنا أم منقطعة في الآية كان الإنكار متجهاً إلى الفعلين على سبيل التعيين ، لأن ما بعد أم المتصلة وما قبلها أسلوب واحد ، وهما مع المنقطعة أسلوبان(٥) .

وإذا كان الماضي ناقصاً (ككان) فالخبر هو الذي يتجه إليه الإنكار ففي قوله تعالى : (أَسْتَكْبَرْتَ أَمْ كُنْتَ مِنَ الْعَالِينَ)(٦) إنكار لعلوه . وفي قوله تعالى : (أَكَانَ لِلنَّاسِ عَجَبًا أَنْ أَوْحَيْنَا إِلَى رَجُلٍ مِنْهُمْ)(٧) الإنكار متجه إلى عجب الناس من ذلك

وفي قوله تعالى : (قُلْ أَبِاللَّهِ وَآيَاتِهِ وَرَسُولِهِ كُنْتُمْ تَسْتَهْزِئُونَ)(٨) ، أنكر استهزاءهم ، وقدم بالله وآياته ورسوله لتعظيمها وزيادة التشنيع على من يستهزئ بها(٩) .

---

(١) الأعراف : ٩٨ .

(٢) الأعراف : ٩٧ .

(٣) المرجع نفسه والصفحة .

(٤) ص : ٧٥ .

(٥) المرجع نفسه ص١٥ .

(٦) ص : ٧٥ .

(٧) يونس : ٢ .

(٨) التوبة : ٦٥ .

(٩) المرجع نفسه والصفحة .

وقد ينكر الماضي الذي لم يقع إلا في الاعتبار كقوله تعالى : (أَتَوَاصَوْا بِهِ بَلْ هُمْ قَوْمٌ طَاغُونَ)([1]) فالتواصي لم يقع فعلاً من كافر إلى كافر ، ولكنهم لما اتفقوا فيما استقبلوا به رسلهم من التكذيب والسخرية ، وكانوا يرمون عن قوس واحدة في هذا الشأن اعتبروا كأنهم متواصون ، وأنكر ذلك عليهم مع التوبيخ والتهكم والتعجيب([2]) .

وعن القرطبي : (أي أوصى أولهم آخرهم بالتكذيب وتواطئوا عليه والألف – أي الهمزة – للتوبيخ والتعجيب)([3]) .

أما إذا كان الماضي غير واقع فإن المراد بالاستفهام معه إنكار وقوعه واستبعاد حصوله مع التهكم بمدعى ذلك ، كقوله تعالى : (أَصْطَفَى الْبَنَاتِ عَلَى الْبَنِينَ مَا لَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ)([4]) . فهذا رد على المشركين وتكذيب لهم في قولهم ما يؤدي إلى هذا الجهل العظيم . وهو إنكار للفعل من أصله([5]) .

كذلك قوله تعالى : (وَجَعَلُوا الْمَلائِكَةَ الَّذِينَ هُمْ عِبَادُ الرَّحْمَنِ إِنَاثًا أَشَهِدُوا خَلْقَهُمْ)([6]) . وكذا قوله تعالى : (أَفَأَصْفَاكُمْ رَبُّكُمْ بِالْبَنِينَ وَاتَّخَذَ مِنَ الْمَلائِكَةِ إِنَاثًا إِنَّكُمْ لَتَقُولُونَ قَوْلاً عَظِيمًا)([7]) .

فكل من الاصطفاء والشهادة والإصفاء لم يقع ، والمراد بالاستفهام عنه إنكار وقوعه ؛ أي ما حدث شئ من ذلك مع التهكم بمدعي وقوعه والسخرية منه([8]) .

ثانياً : الهمزة وبعدها المضارع :

([1]) الذاريات : ٥٣ .

([2]) المرجع نفسه والصفحة .

([3]) القرطبي الجامع لأحكام القرآن – دار الشعب القاهرة مصر ج١٧ ص٥٤ .

([4]) الصافات : ١٥٣-١٥٤ .

([5]) دلائل الإعجاز ص١١٤ .

([6]) الزخرف : ١٩ .

([7]) الإسراء : ٤٠ .

([8]) أساليب الاستفهام في القرآن ص١٦ .

وإذا وقع بعدها المضارع متصلاً بها أو منفصلاً منها بالعاطف فالغالب أن تكون الهمزة معه لإنكار الواقع إذا كان المضارع حاصلاً على معنى ما كان ينبغي وقوعه مع تقبيح الفعل والتعجيب منه وتوبيخ فاعله ، ونلحظ في ذلك المضارع أنه يدل على الحاضر والماضي لا على الزمن المستقبل ؛ لأن التوبيخ – وقد أفادته تلك الأساليب – لا يكون إلا على فعل واقع([1]) .

وأمثلة ذلك قوله تعالى : (أَتَبْنُونَ بِكُلِّ رِيعٍ آيَةً تَعْبَثُونَ)([2]) ، وقوله تعالى : (أَتَدْعُونَ بَعْلًا وَتَذَرُونَ أَحْسَنَ الْخَالِقِينَ)([3]) ، وقوله تعالى : (أَفَتَطْمَعُونَ أَنْ يُؤْمِنُوا لَكُمْ وَقَدْ كَانَ فَرِيقٌ مِنْهُمْ يَسْمَعُونَ كَلامَ اللَّهِ ثُمَّ يُحَرِّفُونَهُ)([4]) .

فكل من البناء ، والدعاء ، والطمع ، قد وقع فعلاً من المخاطبين واستمر وقوعه ويراد إنكاره وتقبيحه والتعجيب منه والتوبيخ عليه([5]) .

وقد تفيد الهمزة الداخلة على المضارع حينئذ إنكار الواقع مع التهكم ، كقوله تعالى : (قُلْ أَتُنَبِّئُونَ اللَّهَ بِمَا لا يَعْلَمُ فِي السَّمَوَاتِ وَلا فِي الأَرْضِ)([6]) وقوله تعالى : (قُلْ أَتُعَلِّمُونَ اللَّهَ بِدِينِكُمْ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الأَرْضِ)([7]) .

أو إنكار الواقع مع التيئيس ، كقوله تعالى : (أَيَطْمَعُ كُلُّ امْرِئٍ مِنْهُمْ أَنْ يُدْخَلَ جَنَّةَ نَعِيمٍ)([8]) ، أنكر طمعهم في دخول الجنة ، ويأسهم من أن ينالوا ذلك([9])

وقد تفيد الهمزة كذلك الإنكار مع التجهيل والوعيد ، كقوله تعالى : (أَيَحْسَبُ الإِنْسَانُ أَلَّنْ نَجْمَعَ عِظَامَهُ)([1]) وقوله تعالى : (أَيَحْسَبُ أَنْ لَنْ يَقْدِرَ عَلَيْهِ أَحَدٌ)([2]) .

.

([1]) المرجع نفسه ص١٦ .

([2]) الشعراء : ١٢٨ .

([3]) الصافات : ١٢٥ .

([4]) البقرة : ٧٥ .

([5]) المرجع نفسه ص١٧ .

([6]) يونس : ١٨ .

([7]) الحجرات : ١٦ .

([8]) المعارج : ٣٨ .

([9]) المرجع نفسه والصفحة .

فالحسبان واقع وهو منكر قبيح وفاعله موبخ عليه مهدد بما في حيزه([3]) .

وقد تنكر إرادة الفعل مبالغة في الإنكار ، كقوله تعالى : (أَتُرِيدُ أَنْ تَقْتُلَنِي كَمَا قَتَلْتَ نَفْسًا بِالْأَمْسِ)([4]) ، ومثله قوله تعالى : (أَتُرِيدُونَ أَنْ تَهْدُوا مَنْ أَضَلَّ اللَّهُ)([5]) .

أنكر فعل الإرادة ويقصد إنكار الفعل الذي بعده مبالغة([6]) .

وقد ينكر فعلان مضارعان واقعان على وجه التعيين بقصد التهكم وذلك في أساليب الهمزة وأم المتصلة ، كقوله تعالى : (قُلْ أَتُحَاجُّونَنَا فِي اللَّهِ وَهُوَ رَبُّنَا وَرَبُّكُمْ وَلَنَا أَعْمَالُنَا وَلَكُمْ أَعْمَالُكُمْ وَنَحْنُ لَهُ مُخْلِصُونَ أَمْ تَقُولُونَ إِنَّ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَالأَسْبَاطَ كَانُوا هُودًا أَوْ نَصَارَى)([7]) .

أنكر المحاجة والقول لا على التعيين بل بقصد التهكم ، وإذا اعتبرنا أم منقطعة كان الإنكار متجهاً إلى الفعلين على سبيل التعيين([8]) .

وقد ينكر المضارع الذي لم يقع كأنه واقع لتأكد تحققه ، كقوله تعالى : (وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلائِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً قَالُوا أَتَجْعَلُ فِيهَا مَنْ يُفْسِدُ فِيهَا)([9]) .

أنكر الملائكة الجعل ولم يكن قد وقع ، لأنه جاء في وعد الصادق الذي لا خلف فيه فكان كأنه واقع ، ولذا تعجبوا باستفهامهم([10]) .

([1]) القيامة : ٣ .

([2]) البلد : ٥ .

([3]) المرجع نفسه والصفحة .

([4]) القصص : ١٩ .

([5]) النساء : ٨٨ .

([6]) المرجع نفسه والصفحة .

([7]) البقرة : ١٣٩-١٤٠ .

([8]) المرجع نفسه ص١٨ .

([9]) البقرة : ٣٠ .

([10]) المرجع نفسه والصفحة .

ويقول الزمخشري في قوله تعالى : (أَتَجْعَلُ فِيهَا) : (تعجب من أن يستخلف مكان أهل الطاعة أهل المعصية .. وقد عرفوا ذلك بإخبار من الله..)([1])

وكقوله تعالى : (وَقَالَ رَجُلٌ مُؤْمِنٌ مِنْ آَلِ فِرْعَوْنَ يَكْتُمُ إِيمَانَهُ أَتَقْتُلُونَ رَجُلاً أَنْ يَقُولَ رَبِّيَ اللَّهُ)([2]) .

لما سمع الرجل المؤمن قول فرعون قبل ذلك : (ذَرُونِي أَقْتُلْ مُوسَى وَلْيَدْعُ رَبَّهُ)([3]) . ووجد عزمهم على قتل موسى قوياً أنكر عليهم الفعل الذي لم يقع كأنه واقع ، ونلحظ في هاتين الآيتين أن المضارع يدل على المستقبل ، أي : أسوف تجعل ؟ أسوف تقتلون ؟([4]) .

أما إذا كان المضارع غير واقع فإن الاستفهام عنه يراد به إنكار وقوعه على معنى النفي والاستبعاد ، كقوله تعالى : (وَلا يَأْمُرَكُمْ أَنْ تَتَّخِذُوا الْمَلائِكَةَ وَالنَّبِيِّينَ أَرْبَابًا أَيَأْمُرُكُمْ بِالْكُفْرِ بَعْدَ إِذْ أَنْتُمْ مُسْلِمُونَ)([5]) .

وقد يراد مع إنكار وقوع الفعل التعريف ، كقوله تعالى : (قَالُوا أَنُؤْمِنُ كَمَا آَمَنَ السُّفَهَاءُ أَلا إِنَّهُمْ هُمُ السُّفَهَاءُ وَلَكِنْ لا يَعْلَمُونَ)([6]) . أي لا نفعل ذلك ، ويعرضون بسفاهة من آمن . لذلك جاء رد الله عليهم بقوله : (أَلا إِنَّهُمْ هُمُ السُّفَهَاءُ) ففيه تحقيق وتأكيد لسفاهتهم ، لأن من خواص لا النافية والهمزة معها التحقيق([7]) .

وقد يراد مع الإنكار التجهيل – كقوله تعالى : (أَفَنَجْعَلُ الْمُسْلِمِينَ كَالْمُجْرِمِينَ)([8]) أي : لا نجعل هؤلاء كهؤلاء ، وفي الآية تجهيل لمن ادعى ذلك . كذلك جاء التعجيب من اعتقادهم هذا والإنكار عليهم هذا الحكم ، وهو أن يساوي الله بين المسلمين والمجرمين ، وهذا ما يتضح في سياق الآيات التالية لهذه الآية ،

([1]) الكشاف ج١ ص١١٨ .

([2]) غافر : ٢٨

([3]) غافر : ٢٦ .

([4]) أساليب الاستفهام في القرآن ص١٨ .

([5]) آل عمران : ٨٠ .

([6]) البقرة : ١٣ .

([7]) انظر المرجع نفسه ص١٩ ، والبلاغة القرآنية في تفسير الزمخشري ص٣٥٩ .

([8]) القلم : ٣٥ .

وهي قوله تعالى:(مَا لَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ أَمْ لَكُمْ كِتَابٌ فِيهِ تَدْرُسُونَ إِنَّ لَكُمْ فِيهِ لَمَا تَخَيَّرُونَ أَمْ لَكُمْ أَيْمَانٌ عَلَيْنَا بَالِغَةٌ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ إِنَّ لَكُمْ لَمَا تَحْكُمُونَ)([1]) .

وقد يراد إنكار الوقوع مع السخرية كقوله تعالى : (أَأَسْجُدُ لِمَنْ خَلَقْتَ طِينًا)([2]) ، وقوله تعالى : (قَالُوا أَنُؤْمِنُ لَكَ وَاتَّبَعَكَ الأَرْذَلُونَ)([3]) .

فإبليس ينكر أن يسجد لآدم ويسخر منه ، والقائلون ينكرون وقوع الإيمان منهم ويسخرون بأتباع نوح عليه السلام([4]) .

وكذلك يمكن أن يراد إنكار الوقوع مع الوعيد كقوله تعالى:(أَتُتْرَكُونَ فِي مَا هَاهُنَا آمِنِينَ)([5])،أي لا تتركون في ذلك،وهذا يؤذن بأن الله سيبعث عليهم ما يفزعهم([6]).

وجاء في كتاب (الإتقان) للسيوطي (إن من إنكار الوقوع ما يفيد النهي بمعنى الدعاء وذلك في قوله تعالى : (قَالَ رَبِّ لَوْ شِئْتَ أَهْلَكْتَهُمْ مِنْ قَبْلُ وَإِيَّايَ أَتُهْلِكُنَا بِمَا فَعَلَ السُّفَهَاءُ مِنَّا)([7]) أي لا تهلكنا ، ونهى الأعلى دعاء([8]) .

كما جاء في تفسير القرطبي لهذه الآية ، أن الاستفهام فيها للجحد ؛ أي : لست تفعل ، وقيل معناه الدعاء والطلب أي : لا تهلكنا([9]) .

وكما يقول أبو جعفر النحاس([10]) أنها بمعنى النفي ، وكذا قال في مثيلتها ، وهي قوله تعالى : (أَفَتُهْلِكُنَا بِمَا فَعَلَ الْمُبْطِلُونَ)([11]) .

([1]) القلم : ٣٦-٣٩ .

([2]) الإسراء : ٦١ .

([3]) الشعراء : ١١١ .

([4]) أساليب الاستفهام في القرآن ص١٩ .

([5]) الشعراء : ١٤٦ .

([6]) المرجع نفسه والصفحة .

([7]) الأعراف : ١٥٥ .

([8]) الإتقان في علوم القرآن ج٣ ص٢٣٩ .

([9]) تفسير القرطبي ج٧ ص٢٩٥ .

([10]) أبو جعفر النحاس : أحمد بن محمد بن إسماعيل النحاس أبو جعفر من أهل مصر رحل إلى بغداد فأخذ عن المبرد والأخفش والزجاج ثم عاد إلى مصر إلى أن توفى بها في سنة ٣٣٧هـ ، (معجم الأدباء ، ج١ ص٦١٨) .

([11]) الأعراف : ١٧٣ – إعراب القرآن – النحاس – عالم الكتب بيروت (١٤٠٩هـ-١٩٨٨م) – ط٣ تحقيق د. زهير غازي زاهد ج٢ ص١٥٤ ، وص١٦٢ .

وقد ناقش صاحب كتاب (أساليب الاستفهام في القرآن) المسألة ، ومال إلى الرأي الذي يقول بأن في الآية استفهام مراد به النفي الذي قصد منه الدعاء([1]) .

وأنا أرى أن في الآية استفهام يراد منه النهي المقصود منه الدعاء ، لأن الموطن موطن تضرع إلى الله وابتهال بألا يهلكهم بما اقترف المسيئون منهم ، فعدل الله ورحمته يأبيان أن يأخذ المحسن بذنب المسئ – والله أعلم – .

كذلك من إنكار المضارع بالهمزة ما فصلت منه بمعموله ، وذلك من خواص الهمزة ؛ لأنها وحدها من بين أدوات الاستفهام التي تستعمل هذا الاستعمال والإنكار حينئذ على نوعين :

١/ إنكار الفعل الواقع منحصراً في معموله المقدم كقوله تعالى : (أَفَغَيْرَ اللَّهِ تَتَّقُونَ)([2]) فتقواهم منكرة في حال تعلقها بغير الله لا في كل حال ، وكذلك قوله تعالى : (أَفَبِالْبَاطِلِ يُؤْمِنُونَ)([3]) أنكر إيمانهم في حال تعلقه بالباطل([4]) .

وعليه قوله تعالى : (أَفَغَيْرَ اللَّهِ تَأْمُرُونِّي أَعْبُدُ أَيُّهَا الْجَاهِلُونَ)([5]) فأنكر الأمر بعبادة غير الله ، وقدم الغير لاختصاصه بالإنكار ، بمعنى أن المنكر هو الأمر بعبادة الغير([6]) .

وقد يفيد تقديم معمول الفعل الحصر مع التعظيم ، وذلك كقوله تعالى : (أَفَبِعَذَابِنَا يَسْتَعْجِلُونَ)([7]) وقوله تعالى : (أَفَبِنِعْمَةِ اللَّهِ يَجْحَدُونَ)([8]) أنكرت الهمزة استعجالهم منحصراً في معموله المقدم عليه ، وأفاد التقديم تهويل العذاب وتعظيمه ،

([1]) انظر أساليب الاستفهام في القرآن ص٢٠ .

([2]) النحل : ٥٢ .

([3]) العنكبوت : ٦٧ .

([4]) المرجع نفسه والصفحة .

([5]) الزمر : ٦٤ .

([6]) انظر البلاغة القرآنية في تفسير الزمخشري ص٣٥٥ .

([7]) الشعراء : ٢٠٤ .

([8]) النحل : ٧١ .

وكذا أنكرت جحدهم منحصراً في معموله المقدم عليه وأفاد التقديم تعظيم النعمة([1]) .

٢/ إنكار وقوع الفعل منحصراً في معموله المقدم على الوجه السابق له ، وذلك في نحو قوله تعالى : (قُلْ أَغَيْرَ اللَّهِ أَتَّخِذُ وَلِيًّا)([2]) . أنكر وقوع اتخاذ الولي لا في كل حال ، بل في حال تعلقه بغير الله ، والمعنى – لا أتخذ ولياً سواه – كذلك قوله تعالى : (أَفَغَيْرَ اللَّهِ أَبْتَغِي حَكَمًا)([3]) . نفى ابتغاء الحكم في حال تعلقه بغير الله فقط([4]) .

ثالثاً : الهمزة وبعدها أداة الشرط إن :

وهذا الموضع قد ورد في قوله تعالى : (قَالُوا طَائِرُكُمْ مَعَكُمْ أَئِنْ ذُكِّرْتُمْ)([5]) ففيه الهمزة وهي لإنكار الفعل الواقع الذي هو جواب الشرط (تطيرتم) وقد حذف لدلالة ما قبله عليه وهو قوله تعالى (قَالُوا إِنَّا تَطَيَّرْنَا بِكُمْ)([6]) وإنكار التطير مقيد بوقت التذكر([7]) .

ودخول الهمزة على أداة الشرط من خواصها ، وجواب الشرط هو الذي يقصد إنكاره([8]) .

رابعاً : الهمزة وبعدها حرف العطف (الفاء) مصحوبة بأداة الشرط (إن) :

وقد وردت في قوله تعالى : (وَمَا مُحَمَّدٌ إِلا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ أَفَإِنْ مَاتَ أَوْ قُتِلَ انْقَلَبْتُمْ عَلَى أَعْقَابِكُمْ)([9]) . فالهمزة في هذا الموضع أفادت إنكار

([1]) أساليب الاستفهام في القرآن ص٢١ .

([2]) الأنعام : ١٤ .

([3]) الأنعام : ١١٤ .

([4]) المرجع نفسه والصفحة .

([5]) يس : ١٩ .

([6]) يس : ١٨ .

([7]) المرجع نفسه والصفحة .

([8]) المرجع نفسه والصفحة .

([9]) آل عمران : ١٤٤ .

الواقع ، فقد أنكر في هذه الآية انقلابهم الذي وقع منهم ، وقبحه لهم ، ووبخهم عليه([1]) .

وكذلك هي في قوله تعالى : (وَمَا جَعَلْنَا لِبَشَرٍ مِنْ قَبْلِكَ الْخُلْدَ أَفَإِنْ مِتَّ فَهُمُ الْخَالِدُونَ)([2]) . وقد أفادت في هذا الموضع إنكار الوقوع ؛ أي : وقوع الخلد بعد موت الرسول صلى الله عليه وسلم ومعناها : أي ما كان لهم أن يخلدوا وقد مت([3]) .

خامساً : الهمزة وبعدها حرف العطف (الواو) مصحوبة بلفظ (كلما) :

وقد وردت في قوله تعالى : (أَوَكُلَّمَا عَاهَدُوا عَهْدًا نَبَذَهُ فَرِيقٌ مِنْهُمْ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لا يُؤْمِنُونَ)([4]) .

سادساً : الهمزة وبعدها حرف العطف (الفاء) مصحوبة بلفظ (كلما) :

وقد وردت في قوله تعالى : (أَفَكُلَّمَا جَاءَكُمْ رَسُولٌ بِمَا لَا تَهْوَى أَنْفُسُكُمُ اسْتَكْبَرْتُمْ فَفَرِيقًا كَذَّبْتُمْ وَفَرِيقًا تَقْتُلُونَ)([5]) .

سابعاً : الهمزة وبعدها حرف العطف (الواو) مصحوبة بلفظ (لما) :

وقد وردت في قوله تعالى : (أَوَلَمَّا أَصَابَتْكُمْ مُصِيبَةٌ قَدْ أَصَبْتُمْ مِثْلَيْهَا قُلْتُمْ أَنَّى هَذَا قُلْ هُوَ مِنْ عِنْدِ أَنْفُسِكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ)([6]) .

فالهمزة في هذه الآيات لإنكار الفعل الواقع الذي تم به الكلام : وهو النبذ والاستكبار والقول ، وما ذكر قبل هذه الأفعال متعلقة به ، ويفيد تأكيد الإنكار مع تقبيح الفعل ، ففي الآيتين الأولتين ينكر الله سبحانه وتعالى على اليهود نبذهم العهود ، واستكبارهم على أنبيائهم وتكذيبهم لهم ، وقتلهم إياهم ويستقبح هذه الأفعال منهم ، ويوبخهم عليها ، كما يستنكر في الآية الثالثة على المؤمنين ويستقبح منهم الجزع من الهزيمة التي وقعت بعد انتصارات متكررة ، ويوبخهم على هذا الجزع

([1]) المرجع نفسه ص٢٢ .

([2]) الأنبياء : ٣٤ .

([3]) المرجع نفسه والصفحة .

([4]) البقرة : ١٠٠ .

([5]) البقرة : ٨٧ .

([6]) آل عمران : ١٦٥ .

كيف يصدر منهم وهم المؤمنون بالله العالمون بأن الله قادر على كل شئ سواء النصر أو الهزيمة .

وقد جاء في تفسير البيضاوي([1]) أن الهمزة في هذه الآية للتقريع([2]) .

ثامناً : الهمزة وبعدها إذا الشرطية :

وقد جاء استعمالها في حالين الأول : لإنكار الفعل الواقع الذي هو جواب إذا وقد أفادت جملة الشرط تأكيد الإنكار ، وعليه قوله تعالى : (إِذَا تُتْلَى عَلَيْهِ آيَاتُنَا قَالَ أَسَاطِيرُ الأَوَّلِينَ)([3]) . فقد جاء في قراءة الحسن : (إذا تتلى) بهمزة واحدة ممدودة على الاستفهام التوبيخي على قوله (أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ) لما تليت عليه آيات الله([4]) .

وعليه تكون القراءة : (أإذا تتلى عليه آياتنا قال أساطير الأولين) فقد أنكر عليه قوله ذلك وقت تلاوة الآيات عليه([5]) .

وفي هذا الجانب قوله تعالى : (أَثُمَّ إِذَا مَا وَقَعَ آمَنْتُمْ بِهِ)([6]) أنكر إيمانهم وقت وقوع العذاب عليهم إذ لا نفع له حينئذ([7]) .

الحالة الثانية : وهي أن أإذا تأتي لإنكار وقوع الفعل المقدر ، كما في قوله تعالى: (وَيَقُولُ الإِنْسَانُ أَءِذَا مَا مِتُّ لَسَوْفَ أُخْرَجُ حَيًّا)([8]) .

وقوله تعالى : (أَئِذَا مِتْنَا وَكُنَّا تُرَابًا ذَلِكَ رَجْعٌ بَعِيدٌ)([9]) . وقوله تعالى : (يَقُولُونَ أَئِنَّا لَمَرْدُودُونَ فِي الْحَافِرَةِ أَءِذَا كُنَّا عِظَامًا نَخِرَةً)([10]) ، وقوله تعالى : (وَإِنْ

([1]) هو ناصر الدين أبو الخير عبدالله بن عمر بن محمد بن علي ناصر الدين أبو الخير تولى القضاء بشيراز ، توفى بمدينة تبريز سنة ٦٩١هـ (طبقات الشافعية ج٢ ص١٧٣) .

([2]) انظر أساليب الاستفهام في القرآن ص٢٢-٢٣ . وتفسير البيضاوي – دار الفكر بيروت ج٢ ص١١١ .

([3]) القلم : ١٥ .

([4]) شهاب الدين أحمد بن محمد بن عبد الغني الدمياطي – اتحاف فضلاء البشر في القراءات الأربعة عشر – ط١ (١٤١٩هـ-١٩٩٨م) تحقيق أنس مهرة – دار الكتب العلمية لبنان ج١ ص٥٥٢ .

([5]) أساليب الاستفهام في القرآن ص٢٣ .

([6]) يونس : ٥١ .

([7]) المرجع نفسه والصفحة .

([8]) مريم : ٦٦ .

([9]) ق : ٣ .

([10]) النازعات : ١٠-١١ .

تَعْجَبْ فَعَجَبٌ قَوْلُهُمْ أَءِذَا كُنَّا تُرَابًا أَئِنَّا لَفِي خَلْقٍ جَدِيدٍ)([1]) ، كذلك قوله تعالى: (وَقَالُوا أَءِذَا ضَلَلْنَا فِي الأَرْضِ أَئِنَّا لَفِي خَلْقٍ جَدِيدٍ)([2]) .

وهكذا كل الآيات التي وردت فيها (أإذا) وهي في الإسراء ، الآيات : ٤٩ ، ٩٨ ، والمؤمنون الآية : ٨٢ ، والنمل الآية : ٦٧ ، والواقعة الآية : ٤٧ ، وفي سورة الصافات الآيات ١٦و٣٥ .

وكل الاستفهام الوارد في هذه الآيات على الإنكار والاستبعاد ، والتكذيب والسخرية ، وأن هذه الآيات تتصل بالبعث وإنكاره ، وهي صادرة من الكفار المنكرين للحياة الآخرة([3]) .

تاسعاً : دخول الهمزة على (إن) :

وقد استعملت (أإن) مصاحبة لأساليب (أإذا) وقد مر شرحها فيما سبق ، كما أنها استعملت وحدها ويراد بها معان مختلفة ، منها : أن يراد إنكار نسبة الخبر إلى المبتدأ على سبيل التأكيد ، كما في قوله تعالى : (وَقَالُوا أَءِذَا كُنَّا عِظَامًا وَرُفَاتًا أَئِنَّا لَمَبْعُوثُونَ خَلْقًا جَدِيدًا)([4]) .

فقد أنكر المشركون أن يبعثوا ، وأكدوا هذا الإنكار بإن واللام مبالغة في النفي والاستبعاد ، وإمعاناً في التكذيب والسخرية ، والعبارة التي تشتمل على (أإذا وأإن) أسلوب واحد ، وجملة أإن هي محط الإنكار ووجهته .

والإنكار الذي في هذه الأساليب إنكار وقوع بمعنى النفي والاستبعاد([5]) . كما أنه يراد بها إنكار الوقوع على سبيل التأكيد حيث لا يكون في جملتها فعل ، وذلك كقوله تعالى : (أَمْ لَكُمْ كِتَابٌ فِيهِ تَدْرُسُونَ إِنَّ لَكُمْ فِيهِ لَمَا تَخَيَّرُونَ)([6]) . وقوله تعالى : (أَمْ لَكُمْ أَيْمَانٌ عَلَيْنَا بَالِغَةٌ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ إِنَّ لَكُمْ لَمَا تَحْكُمُونَ)([7]) .

([1]) الرعد : ٥ .

([2]) السجدة : ١٠ .

([3]) انظر المرجع نفسه ص٢٤ .

([4]) الإسراء : ٤٩ .

([5]) المرجع نفسه ص٢٧ .

([6]) القلم : ٣٧-٣٨ .

([7]) القلم : ٣٩ .

فالمراد نفي أن لهم ذلك على سبيل السخرية ، وأكد الإنكار بإن واللام([1]) . ففي هذين الموضعين وردت قراءة على الاستفهام ، فقد جاءت قراءة الأعرج : (أإن لكم) على الاستفهام([2]) .

كما جاءت قراءة الحسن في (آن لكم فيه) بهمزة ممدودة على الاستفهام ، والجمهور بهمزة واحدة مكسورة على الخبر([3]) .

وعليه ففي هاتين القراءتين استفهام إنكار وتوبيخ ، ولكن الراجح هنا أن (إن) بهمزة واحدة على الخبر وهو قراءة الجمهور . كما أني أرى أن هذا الاستفهام مترتب على الاستفهام الذي قبل هذه الآيات ، وهو قوله تعالى : (أَفَنَجْعَلُ الْمُسْلِمِينَ كَالْمُجْرِمِينَ مَا لَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ أَمْ لَكُمْ كِتَابٌ فِيهِ تَدْرُسُونَ إِنَّ لَكُمْ فِيهِ لَمَا تَخَيَّرُونَ أَمْ لَكُمْ أَيْمَانٌ عَلَيْنَا بَالِغَةٌ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ إِنَّ لَكُمْ لَمَا تَحْكُمُونَ)([4]) .

ويؤكد هذا الرأي ما ذهب إليه أبو حيان([5]) في تفسيره فحين تعرض إلى تفسير قوله تعالى (أفنجعل ..) قال : (هو استفهام فيه توقيف على خطأ ما قالوا وتوبيخ . ثم أردف قائلاً في تفسير قوله (مالكم ..) وهو استفهام إنكار عليهم ، ثم قال (كيف تحكمون) وهو استفهام ثالث على سبيل الإنكار عليهم ، استفهم عن هيئة حكمهم ، وقوله (أم لكم..) ثم أضرب عن هذا إضراب انتقال لشئ آخر لا إبطال لما قبله ، فقال : (أم لكم..) أي : بل ألكم كتاب ، أي من عند الله (تدرسون) أي أن ما تختارونه يكون لكم([6]) .

([1]) المرجع نفسه والصفحة .

([2]) انظر تفسير البحر المحيط ج٨ ص٣٠٨-٣٠٩ .

([3]) انظر اتحاف فضلاء البشر في القراءات الأربعة عشر ج١ ص٥٥٢ .

([4]) القلم : ٣٥-٣٩ .

([5]) أبو حيان : محمد بن يوسف بن علي بن يوسف بن حيان النفري الأندلسي الغرناطي المولد والمنشأ الشيخ أثير الدين أبو حيان له مصنفات عديدة منها البحر المحيط في تفسير القرآن العزيز ، تتلمذ عليه كثير من العلماء ، ولد في شوال سنة ٦٥٤هـ بمطخارش من حصون غرناطة ، وتوفى في صفر سنة ٧٤٥هـ ، بالقاهرة . (البلغة ج١ ص٥٨-٥٩) .

([6]) البحر المحيط ج٨ ص٣٠٨ .

فالملاحظ أن الاستفهامات الواردة بعد قوله (أفنجعل..) مترتبة عليه ، وإن كانت استفهامات قائمة بذاتها فقد وردت فيها كلمة (أم) التي تفيد الإضراب ، أي : الانتقال إلى استفهام آخر . وأكد النفي الوارد في هذه الاستفهامات بإن واللام ، فإن وردت هنا لتأكيد النفي لا لاستئناف استفهام جديد ، وهذا ما تؤيده قراءة الجمهور([1]) .

وقد يراد إنكار ذلك الفعل على وجه التعجب لا على وجه التوبيخ ، كقوله تعالى : (وَقَالَ مُوسَى رَبَّنَا إِنَّكَ آتَيْتَ فِرْعَوْنَ وَمَلَأَهُ زِينَةً وَأَمْوَالا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا رَبَّنَا لِيُضِلُّوا عَنْ سَبِيلِكَ)([2]) ، وهذه القراءة لأبي الفضل الرقاشي ، وهي على الاستفهام([3]) .

ولكني عند البحث لم أجد هذه القراءة من ضمن القراءات المشهورة المتواترة ولا حتى من ضمن القراءات الأربعة عشر ، ولذا قد لا تقوم بها حجة([4]) .

وعلى هذه القراءة فقد تعجب موسى من أن يعطي الله فرعون وملأه نعمة الحياة الدنيا ، وأكد تعجبه بإن دون اللام لأن الفعل ماض ، وهذا الاستعمال لم يوجد سواه في القرآن ، فالغالب أن يستعمل معها الفعل المضارع مصحوباً باللام([5]) .

كذلك من معاني الهمزة الداخلة على (إن) أنها تفيد تأكيد تقرير المخاطب ، وتقوية التسجيل عليه ، كما في قوله تعالى : (قَالُوا إِنَّ لَنَا لأَجْرًا إِنْ كُنَّا نَحْنُ الْغَالِبِينَ قَالَ نَعَمْ)([6]) .

فقد طمع السحرة في عظيم الأجر من فرعون إذا صانوا هيبته التي هددها موسى بالنيل منها ، وطلبوا منه أن يقر بهذا الأجر ، ويعترف به على وجه التأكيد([1]) .

([1]) انظر المرجع نفسه الجزء والصفحة .

([2]) يونس : ٨٨ .

([3]) انظر أساليب الاستفهام في القرآن ص٢٨ .

([4]) انظر إتحاف فضلاء البشر في القراءات الأربعة عشر ج١ ص٣١٧ .

([5]) أساليب الاستفهام في القرآن ص٢٨ .

([6]) الأعراف : ١١٣-١١٤ .

وهذا المعنى كذلك في قوله تعالى : (قَالُوا أَئِنَّكَ لأَنْتَ يُوسُفُ قَالَ أَنَا يُوسُفُ وَهَذَا أَخِي)([2]) .

فإخوة يوسف قد سمعوه يقول لهم قبل ذلك : (هَلْ عَلِمْتُمْ مَا فَعَلْتُمْ بِيُوسُفَ وَأَخِيهِ)([3]) فاستفهموه استفهام تقرير لأنهم رأوا فيه علامات كانت تميزه([4]) فجرى في نفوسهم أنه يوسف ، فسألوه مقررين على وجه التأكيد لا مستخيرين كما قال بعض العلماء([5]) .

عاشراً : الهمزة وبعدها لفظ (الآن) (آلآن) :

وقد وردت في قوله تعالى : (أَثُمَّ إِذَا مَا وَقَعَ آمَنْتُمْ بِهِ آلآنَ وَقَدْ كُنْتُمْ بِهِ تَسْتَعْجِلُونَ)([6]) .

كذلك وردت في قوله تعالى : (آلآنَ وَقَدْ عَصَيْتَ قَبْلُ وَكُنْتَ مِنَ الْمُفْسِدِينَ)([7]) وأفادت الهمزة في هذين الموضعين إنكار الفعل الواقع المقدر ، أي: آلآن تؤمنون ؟،آلآن تؤمن؟ وإنكار ذلك الفعل مقيد بهذا الوقت الذي لا ينفع فيه الإيمان([8]) .

الحادي عشر : الهمزة وبعدها (أن) (أأن) :

وقد وردت في قوله تعالى : (وَلا تُؤْمِنُوا إِلا لِمَنْ تَبِعَ دِينَكُمْ قُلْ إِنَّ الْهُدَى هُدَى اللَّهِ أَنْ يُؤْتَى أَحَدٌ مِثْلَ مَا أُوتِيتُمْ أَوْ يُحَاجُّوكُمْ عِنْدَ رَبِّكُمْ)([9]) . في قراءة ابن كثير([10]) : (أن يؤتى) على الاستفهام الذي معناه الإنكار عليهم والتقرير والتوبيخ([11]) .

([1]) المرجع نفسه ص٢٩ .

([2]) يوسف : ٩٠ .

([3]) يوسف : ٨٩ .

([4]) انظر البحر المحيط ج٥ ص٣٢٧ .

([5]) أساليب الاستفهام في القرآن ص٢٩ .

([6]) يونس : ٥١ .

([7]) يونس : ٩١ .

([8]) المرجع نفسه ص٣٠ .

([9]) آل عمران : ٧٣ .

([10]) ابن كثير : أبو سعيد عبدالله بن كثير أحد القراء السبعة ولد بمكة سنة ٤٥هـ ومات بها سنة ١٢٠هـ (وفيات الأعيان ج٣ ص٤٤١) .

([11]) البحر المحيط ج٢ ص٥١٨ .

كذلك جاءت في قوله تعالى : (قَالُوا طَائِرُكُمْ مَعَكُمْ أَئِنْ ذُكِّرْتُمْ)([1]) في قراءة أبي رزين([2]) .

كما وردت في قوله تعالى : (عَبَسَ وَتَوَلَّى ، أَنْ جَاءَهُ الأَعْمَى)([3]) في قراءة الحسن([4]) .

أيضاً وردت في قوله تعالى : (وَلا تُطِعْ كُلَّ حَلَّافٍ مَهِينٍ هَمَّازٍ مَشَّاءٍ بِنَمِيمٍ مَنَّاعٍ لِلْخَيْرِ مُعْتَدٍ أَثِيمٍ عُتُلٍّ بَعْدَ ذَلِكَ زَنِيمٍ أَأَنْ كَانَ ذَا مَالٍ وَبَنِينَ إِذَا تُتْلَى عَلَيْهِ آيَاتُنَا قَالَ أَسَاطِيرُ الأَوَّلِينَ)([5]) .

في قراءة حمزة وابن عامر وأبي بكر وأبي جعفر([6]) .

وكل تلك الأساليب لإنكار الفعل الواقع المحذوف لدلالة في الكلام عليه ، وأن الفعل في موقع المصدر الذي وقع علة للفعل المنكر ، والتقدير : أن يؤتى أحد مثل ما أوتيتم قلتم ما قلتم([7]) .

أتطيرتم لأن ذكرتم ؟ ألأن جاءه الأعمى فعل ذلك إنكاراً عليه ؟([8])

أنطيعه لأن كان ذا مال([9]) .

الثاني عشر : الهمزة وبعدها الواو مقترنة بلفظ (لو) :

وقد استعملت مرة وأريد بها إنكار وقوع الفعل المحذوف بعدها وذلك في قوله تعالى : (لَنُخْرِجَنَّكَ يَا شُعَيْبُ وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَكَ مِنْ قَرْيَتِنَا أَوْ لَتَعُودُنَّ فِي مِلَّتِنَا قَالَ أَوَلَوْ كُنَّا كَارِهِينَ)([10]) .

([1]) يس : ١٩ .

([2]) تفسير القرطبي ج١٥ ص١٦ .

([3]) عبس : ١-٢ .

([4]) البحر المحيط ج٨ ص٤١٥ .

([5]) القلم : ١٠-١٥ .

([6]) إتحاف فضلاء البشر في القراءات الأربعة عشر ج١ ص٥٥٢ .

([7]) انظر البحر المحيط ج٢ ص٥١٨ ، وأساليب الاستفهام في القرآن ص٣٠-٣١ .

([8]) انظر الكشاف ج٤ ص١٢ ، وص٧٠٢ ، وكذلك أساليب الاستفهام في القرآن ص٣١ .

([9]) الكشاف ج٤ ص٥٩٢ .

([10]) الأعراف : ٨٨ .

أي : أنعود فيها ولو كنا كارهين لها ؟ على معنى نفي العودة واستبعادها([1]) وقد استعملت مرة أخرى وأريد بها إنكار الفعل الواقع المحذوف بعدها وذلك في كل من قوله تعالى : (قَالُوا بَلْ نَتَّبِعُ مَا أَلْفَيْنَا عَلَيْهِ آَبَاءَنَا أَوَلَوْ كَانَ آَبَاؤُهُمْ لا يَعْقِلُونَ شَيْئًا وَلا يَهْتَدُونَ)([2]) .

أي : أيتبعونهم ولو كان الأمر كذلك ؟ على تقبيح ذلك والتعجب منه والتوبيخ عليه([3]) .

كذلك قوله تعالى : (وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْا إِلَى مَا أَنْزَلَ اللَّهُ وَإِلَى الرَّسُولِ قَالُوا حَسْبُنَا مَا وَجَدْنَا عَلَيْهِ آَبَاءَنَا أَوَلَوْ كَانَ آَبَاؤُهُمْ لا يَعْلَمُونَ شَيْئًا وَلا يَهْتَدُونَ)([4]) وكذا قوله تعالى : (قَالَ أَوَلَوْ جِئْتُكَ بِشَيْءٍ مُبِينٍ)([5]) .

وقوله تعالى : (وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ اتَّبِعُوا مَا أَنْزَلَ اللَّهُ قَالُوا بَلْ نَتَّبِعُ مَا وَجَدْنَا عَلَيْهِ آَبَاءَنَا أَوَلَوْ كَانَ الشَّيْطَانُ يَدْعُوهُمْ إِلَى عَذَابِ السَّعِيرِ)([6]) .

وأيضاً قوله تعالى : (أَمِ اتَّخَذُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ شُفَعَاءَ قُلْ أَوَلَوْ كَانُوا لا يَمْلِكُونَ شَيْئًا وَلا يَعْقِلُونَ)([7]) .

كما أنها جاءت في قوله تعالى : (قَالَ أَوَلَوْ جِئْتُكُمْ بِأَهْدَى مِمَّا وَجَدْتُمْ عَلَيْهِ آَبَاءَكُمْ قَالُوا إِنَّا بِمَا أُرْسِلْتُمْ بِهِ كَافِرُونَ)([8]) .

وتقدير الفعل المحذوف بعد الهمزة في هذه المواضع هو كما يلي :

ففي آية الشعراء الفعل : أتسجنني ولو جئتك بشئ مبين ؟ وهو ما دل عليه في الآية التي قبلها وهي قوله : (لَئِنِ اتَّخَذْتَ إِلَهًا غَيْرِي لَأَجْعَلَنَّكَ مِنَ الْمَسْجُونِينَ)([1]) .

([1]) أساليب الاستفهام في القرآن ص٣١ .

([2]) البقرة : ١٧٠ .

([3]) المرجع نفسه والصفحة .

([4]) المائدة : ١٠٤ .

([5]) الشعراء : ٣٠ .

([6]) لقمان : ٢١ .

([7]) الزمر : ٤٣ .

([8]) الزخرف : ٢٤ .

وفي آية سورة لقمان تقدير الفعل : أيتبعون ما وجدوا عليه آباءهم ولو كان الشيطان يدعوهم إلى عذاب السعير ؟

كذلك الفعل في آية سورة الزمر هو : أتتخذون من دون الله شفعاء ولو كانوا لا يملكون شيئاً ولا يعقلون ؟ .

وأيضاً تقدير الفعل في آية سورة الزخرف هو والله أعلم : أتكفرون بي ولو جئتكم بأهدى مما وجدتم عليه آباءكم ؟

وفي كل هذه المواضع إنكار للفعل وتقبيح له وتعجب منه وتوبيخ عليه .

وقيل أن الواو التي سبقت لو ،هي:واو الحال وجملة الحال لتقوية الإنكار([2])

الثالث عشر : الهمزة وبعدها فعل الرؤية الماضي (رأيت) (أرأيت) :

وقد جاء هذا الاستعمال على ثلاث حالات :

١/ الحالة الأولى : أن يلحقها ضمير المخاطب (أرأيت ، أفرأيت) ، وقد استعملت بهذا الشكل في عشرة مواضع منها على سبيل المثال قوله تعالى : (قَالَ أَرَأَيْتَ إِذْ أَوَيْنَا إِلَى الصَّخْرَةِ فَإِنِّي نَسِيتُ الْحُوتَ وَمَا أَنْسَانِيهُ إِلا الشَّيْطَانُ أَنْ أَذْكُرَهُ وَاتَّخَذَ سَبِيلَهُ فِي الْبَحْرِ عَجَبًا)([3]) ، وقوله تعالى : (أَرَأَيْتَ مَنِ اتَّخَذَ إِلَهَهُ هَوَاهُ أَفَأَنْتَ تَكُونُ عَلَيْهِ وَكِيلا)([4]) .

وكذلك قوله تعالى : (أَفَرَأَيْتَ الَّذِي كَفَرَ بِآيَاتِنَا وَقَالَ لأُوتَيَنَّ مَالاً وَوَلَدًا أَطَّلَعَ الْغَيْبَ أَمِ اتَّخَذَ عِنْدَ الرَّحْمَنِ عَهْدًا)([5]) ، وقوله تعالى : (أَفَرَأَيْتَ إِنْ مَتَّعْنَاهُمْ سِنِينَ ثُمَّ جَاءَهُمْ مَا كَانُوا يُوعَدُونَ مَا أَغْنَى عَنْهُمْ مَا كَانُوا يُمَتَّعُونَ)([6]) .

٢/ الحالة الثانية : أن يلحقها ضمير المخاطبين : (أرأيتم ، أفرأيتم) وقد استعملت هذا الاستعمال في واحد وعشرين موضعاً منها قوله تعالى : (قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ أَتَاكُمْ

([1]) الشعراء : ٢٩ .

([2]) المرجع نفسه والصفحة .

([3]) الكهف : ٦٣ .

([4]) الفرقان : ٤٣ .

([5]) مريم : ٧٧-٧٨ .

([6]) الشعراء : ٢٠٥-٢٠٧ .

عَذَابُهُ بَيَاتًا أَوْ نَهَارًا مَاذَا يَسْتَعْجِلُ مِنْهُ الْمُجْرِمُونَ)([1]) ومنها قوله تعالى : (أَفَرَأَيْتُمْ مَا تُمْنُونَ أَأَنْتُمْ تَخْلُقُونَهُ أَمْ نَحْنُ الْخَالِقُونَ)([2]) .

٣/ الحالة الثالثة : أن يلحقها ضميرا خطاب : (أرأيتكم ، أرأيتك) وقد استعملت هذا الاستعمال في ثلاثة مواضع فقط ، وهذا الاستعمال هو أقل استعمالاتها ، وأغربها لأن فيه جمعاً بين ضميري خطاب([3]) .

وهي في قوله تعالى : (قَالَ أَرَأَيْتَكَ هَذَا الَّذِي كَرَّمْتَ عَلَيَّ لَئِنْ أَخَّرْتَنِ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ لأَحْتَنِكَنَّ ذُرِّيَّتَهُ إِلا قَلِيلاً)([4]) . كذلك قوله تعالى : (قُلْ أَرَأَيْتَكُمْ إِنْ أَتَاكُمْ عَذَابُ اللَّهِ أَوْ أَتَتْكُمُ السَّاعَةُ أَغَيْرَ اللَّهِ تَدْعُونَ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ)([5]) . وأيضاً قوله تعالى : (قُلْ أَرَأَيْتَكُمْ إِنْ أَتَاكُمْ عَذَابُ اللَّهِ بَغْتَةً أَوْ جَهْرَةً هَلْ يُهْلَكُ إِلا الْقَوْمُ الظَّالِمُونَ)([6]) .

وجاء في تفسير البحر المحيط : (أرأيتكم ..) كلمة استفهام وتعجب وليس لها نظير ، وهي بمعنى أخبرني ، وقد تكون بمعنى علمت ، وهو استفهام إنكاري، وهي للتهديد والتهديد الشديد لذلك جمع فيه بين أداتي الخطاب وهي عنده لتأكيد الخطاب([7]) ، كما يرى القرطبي أن الكاف إن كانت للخطاب زائدة للتأكيد([8]) .

وأساليب (أرأيت) كلها تناسب الوجدان الثائر ، والانفعال المحتدم ، ويغلب أن تمهد لاستفهام جديد إما ظاهر ، وإما مقدر([9]) .

و(أرأيت) عند العلماء بمعنى التنبيه والتعجب ، وبمعنى أخبرني ، أو أخبروني([10]) .

([1]) يونس : ٥٠ .

([2]) الواقعة : ٥٨-٥٩ .

([3]) أساليب الاستفهام في القرآن ص٣٢ .

([4]) الإسراء : ٦٢ .

([5]) الأنعام : ٤٠ .

([6]) الأنعام : ٤٧ .

([7]) البحر المحيط ج٤ ص١٢٨-١٣٦ .

([8]) تفسير القرطبي ج٦ ص٤٢٣ .

([9]) أساليب الاستفهام في القرآن ص٣٤ .

([10]) انظر البحر المحيط ج٤ ص١٢٩ .

وفي هذا السياق يقول السيوطي : (إذا دخلت الهمزة على (رأيت) امتنع أن تكون من رؤية البصر أو القلب ، وصار بمعنى : أخبرني)([1]) .

وقد استعملت (أرأيت) في القرآن استعمالين :

أحدهما : أن يقع بعدها الاسم المتحدث عنه ، وبعده استفهام ، وذلك في أربعة عشر موضعاً ، منها قوله تعالى : (أَفَرَأَيْتُمْ مَا تُمْنُونَ أَأَنْتُمْ تَخْلُقُونَهُ أَمْ نَحْنُ الْخَالِقُونَ)([2]) ، وقوله تعالى : (أَفَرَأَيْتَ الَّذِي كَفَرَ بِآيَاتِنَا وَقَالَ لأُوتَيَنَّ مَالاً وَوَلَدًا أَطَّلَعَ الْغَيْبَ أَمِ اتَّخَذَ عِنْدَ الرَّحْمَنِ عَهْدًا)([3]) كذلك قوله تعالى : (أَرَأَيْتَ مَنِ اتَّخَذَ إِلَهَهُ هَوَاهُ أَفَأَنْتَ تَكُونُ عَلَيْهِ وَكِيلاً)([4]) .

والاستفهام قبل فعل الرؤية حينئذ للتنبيه والتعجيب ، وتوجيه الأذهان إلى هذا الاسم المتحدث عنه ، لتلقي قصته بوعي وانتباه([5]) .

ثانيهما : أن يتلوها إن الشرطية وهي حينئذ تفيد التنبيه لا التعجيب ومعناها

أخبرني ، ولابد بعدها من استفهام ظاهر أو مقدر ، وقد تمهد للوعيد([6]) .

ومن أمثلتها التي مهدت فيها للوعيد قوله تعالى : (قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ أَتَاكُمْ عَذَابُهُ بَيَاتًا أَوْ نَهَارًا مَاذَا يَسْتَعْجِلُ مِنْهُ الْمُجْرِمُونَ)([7]) .

وقد تمهد للتوبيخ كقوله تعالى : (قَالَ يَا قَوْمِ أَرَأَيْتُمْ إِنْ كُنْتُ عَلَى بَيِّنَةٍ مِنْ رَبِّي وَآتَانِي رَحْمَةً مِنْ عِنْدِهِ فَعُمِّيَتْ عَلَيْكُمْ أَنُلْزِمُكُمُوهَا وَأَنْتُمْ لَهَا كَارِهُونَ)([8]) .

وفي هذه الأمثلة قد ذكر بعدها الاستفهام ظاهراً ، وهو جواب الشرط ، وفعل الشرط وجوابه سدا مسد مفعولي أرأيتم في أغلب الأقوال([1]) .

([1]) الإتقان في علوم القرآن ج١ ص٤٢٧ .

([2]) الواقعة : ٥٨-٥٩ .

([3]) مريم : ٧٧-٧٨ .

([4]) الفرقان : ٤٣ .

([5]) أساليب الاستفهام في القرآن ص٣٥ .

([6]) المرجع نفسه ص٣٨ .

([7]) يونس : ٥٠ .

([8]) هود : ٢٨ .

ومما قدر فيه جملة الاستفهام قوله تعالى : (قَالَ يَا قَوْمِ أَرَأَيْتُمْ إِنْ كُنْتُ عَلَى بَيِّنَةٍ مِنْ رَبِّي وَرَزَقَنِي مِنْهُ رِزْقًا حَسَنًا وَمَا أُرِيدُ أَنْ أُخَالِفَكُمْ إِلَى مَا أَنْهَاكُمْ عَنْهُ إِنْ أُرِيدُ إِلا الإِصْلاحَ مَا اسْتَطَعْتُ وَمَا تَوْفِيقِي إِلا بِاللَّهِ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ أُنِيبُ)([2]) .

وقد قدر الزمخشري جواب أرأيتم بقوله : (المعنى : أخبروني إن كنت على حجة واضحة ويقين من ربي وكنت نبياً على الحقيقة ، أيصح لي أن لا آمركم بترك عبادة الأوثان والكف عن المعاصي)([3]) .

فجواب (أرأيتم) عنده محذوف تقديره قوله : (أيصح أن لا آمركم بترك عبادة الأوثان والكف عن المعاصي) .

ويقول أبو حيان (وجواب الشرط محذوف تدل عليه الجملة السابقة مع متعلقها)([4]) ولم يقدره ، بل اكتفى بالجملة الاستفهامية التي قدرها الزمخشري .

كذلك مما قدر فيه جملة الاستفهام قوله تعالى : (قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ كَانَ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ وَكَفَرْتُمْ بِهِ وَشَهِدَ شَاهِدٌ مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ عَلَى مِثْلِهِ فَآمَنَ وَاسْتَكْبَرْتُمْ إِنَّ اللَّهَ لا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ)([5]) .

يقول الزمخشري في تقديره : (والمعنى : قل أخبروني إن اجتمع كون القرآن من عند الله مع كفركم به واجتمع شهادة أعلم بني إسرائيل على نزول مثله وإيمانه به مع استكباركم عنه وعن الإيمان به ألستم أضل الناس وأظلمهم ؟)([6]) .

الرابع عشر : الهمزة وبعدها المبتدأ متلواً بفعل يراد إنكاره :

والاسم وهو المبتدأ الواقع بعد الهمزة يكون غير معمول للفعل الذي بعدها، أو فاعلاً لفعل محذوف([7]) .

([1]) انظر المرجع نفسه ص٣٩-٤٤ .

([2]) هود : ٨٨ .

([3]) الكشاف ج٢ ص٢٩٦ .

([4]) البحر المحيط ج٥ ص٢٥٤ .

([5]) الأحقاف : ١٠ .

([6]) الكشاف ج٤ ص١٩٨ .

([7]) انظر أساليب الاستفهام في القرآن ص٤٥ .

وهذا الموضع قد يكون لإنكار الواقع مع تحقير الاسم كقوله تعالى : (وَإِذَا رَآكَ الَّذِينَ كَفَرُوا إِنْ يَتَّخِذُونَكَ إِلا هُزُوًا أَهَذَا الَّذِي يَذْكُرُ آلِهَتَكُمْ وَهُمْ بِذِكْرِ الرَّحْمَنِ هُمْ كَافِرُونَ)([1]) .

فالهمزة أفادت تحقير المشار إليه وإنكار فعله الواقع وهو ذكره آلهتهم بسوء([2]) .

ويقول أبو حيان : (هذا استفهام فيه إنكار وتعجيب)([3]) .

وقد تفيد الهمزة إنكار الوقوع ، ويفيد تقديم الاسم تأكيد الإنكار بتقوية الإسناد([4]) . وهذا كقوله تعالى : (قَالَ الَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا لِلَّذِينَ اسْتُضْعِفُوا أَنَحْنُ صَدَدْنَاكُمْ عَنِ الْهُدَى بَعْدَ إِذْ جَاءَكُمْ بَلْ كُنْتُمْ مُجْرِمِينَ)([5]) .

يقول القرطبي : (هو استفهام بمعنى الإنكار ؛ أي : ما رددناكم نحن عن الهدى ولا أكرهناكم)([6]) .

وكقوله تعالى : (أَهُمْ يَقْسِمُونَ رَحْمَةَ رَبِّكَ نَحْنُ قَسَمْنَا بَيْنَهُمْ مَعِيشَتَهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَرَفَعْنَا بَعْضَهُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجَاتٍ لِيَتَّخِذَ بَعْضُهُمْ بَعْضًا سُخْرِيًّا وَرَحْمَةُ رَبِّكَ خَيْرٌ مِمَّا يَجْمَعُونَ)([7]) .

يقول الزمخشري : (هذه الهمزة للإنكار المستقل بالتجهيل والتعجيب من اعتراضهم وتحكمهم ، وأن يكونوا هم المدبرين لأمر النبوة والتخير لها من يصلح لها ، ويقوم بها فأنكر عليهم أن يكونوا هم المتولين لقسمة رحمة الله التي لا يتولاها إلا هو بباهر قدرته وبالغ حكمته)([8]) .

([1]) الأنبياء : ٣٦ .

([2]) المرجع نفسه والصفحة .

([3]) البحر المحيط ج٦ ص٢٩٠ .

([4]) أساليب الاستفهام في القرآن ص٤٥ .

([5]) سبأ : ٣٢ .

([6]) تفسير القرطبي ج١٤ ص٣٠٢ .

([7]) الزخرف : ٣٢ .

([8]) الكشاف ج٤ ص١٥٥ .

وقد تفيد الهمزة مع إنكار وقوع الفعل من المخاطب إمكان وقوعه من غيره([1]) كقوله تعالى : (وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ لآَمَنَ مَنْ فِي الأَرْضِ كُلُّهُمْ جَمِيعًا أَفَأَنْتَ تُكْرِهُ النَّاسَ حَتَّى يَكُونُوا مُؤْمِنِينَ)([2]) .

يقول أبو حيان : (وتقديم الاسم في الاستفهام على الفعل يدل على إمكان حصول الفعل ، لكن من غير ذلك الاسم فلله أن يكره الناس على الإيمان لو شاء وليس ذلك لغيره)([3]) .

ويقول الزمخشري : (وإيلاء الاسم حرف الاستفهام للإعلام بأن الإكراه ممكن مقدور عليه ، وإنما الشأن في المكره من هو ؟ وما هو إلا هو وحده لا يشارك فيه لأنه هو القادر على أن يفعل في قلوبهم ما يضطرون عنده إلى الإيمان وذلك غير مستطاع للبشر)([4]) .

وعليه قوله تعالى : (أَفَمَنْ حَقَّ عَلَيْهِ كَلِمَةُ الْعَذَابِ أَفَأَنْتَ تُنْقِذُ مَنْ فِي النَّارِ)([5]) .

وقوله تعالى : (وَمِنْهُمْ مَنْ يَسْتَمِعُونَ إِلَيْكَ أَفَأَنْتَ تُسْمِعُ الصُّمَّ وَلَوْ كَانُوا لا يَعْقِلُونَ)([6]) .

وفي هذه الأساليب مع إنكار وقوع الفعل من المخاطب تسلية للرسول صلى الله عليه وسلم وأن لا يكترث بعدم قبولهم ، فإن الهداية إنما هي لله . والفعل الذي بعد الاسم هو متوجه الاستفهام ومقصده([7]) .

وقد يذكر بعد ذلك المبتدأ الوصف الذي فيه معنى الفعل ويراد به : إما إنكار وقوعه كقوله تعالى : (بَلْ مَتَّعْنَا هَؤُلَاءِ وَآَبَاءَهُمْ حَتَّى طَالَ عَلَيْهِمُ الْعُمُرُ أَفَلا يَرَوْنَ أَنَّا

([1]) أساليب الاستفهام في القرآن ص٤٦ .

([2]) يونس : ٩٩ .

([3]) البحر المحيط ج٥ ص١٩٣ .

([4]) الكشاف ج٢ ص٢٥٤ .

([5]) الزمر : ١٩ .

([6]) يونس : ٤٢ .

([7]) انظر أساليب الاستفهام في القرآن ص٤٦ ، والبحر المحيط ج٥ ص١٦٢ .

نَأْتِي الأَرْضَ نَنْقُصُهَا مِنْ أَطْرَافِهَا أَفَهُمُ الْغَالِبُونَ)([1]) فقوله : (أَفَهُمُ الْغَالِبُونَ) أي : هم لا يغلبون ، فهو استفهام فيه تقريع وتوبيخ([2]) .

وإما إنكار الوصف الواقع كقوله تعالى : (وَهَذَا ذِكْرٌ مُبَارَكٌ أَنْزَلْنَاهُ أَفَأَنْتُمْ لَهُ مُنْكِرُونَ)([3]) فقوله (منكرون) مضمن معنى الفعل (تنكرون) وهو استفهام إنكار وتوبيخ .. وفيه تسلية للرسول صلى الله عليه وسلم إذا أنكر ذلك المشركون كما أنكر أسلاف اليهود ما أنزل الله على موسى عليه السلام([4]) .

وعليه قوله تعالى : (أَرَاغِبٌ أَنْتَ عَنْ آلِهَتِي يَا إِبْرَاهِيمُ)([5]) فراغب في معنى ترغب . وهو فعل واقع من إبراهيم ينكره أبوه ، ويتعجب منه ، ويقبحه له ، واتصلت الهمزة براغب على الأصل لأنه المراد إنكاره([6]) .

وقد لا يكون في الجملة الاسمية وصف بمعنى الفعل فالإنكار حينئذ يتجه إلى النسبة([7]) .

فمن ذلك في إنكار الواقع مع التعجب قوله تعالى : (وَلَوْ جَعَلْنَاهُ قُرْآنًا أَعْجَمِيًّا لَقَالُوا لَوْلا فُصِّلَتْ آيَاتُهُ أَأَعْجَمِيٌّ وَعَرَبِيٌّ)([8]) .

الهمزة همزة الإنكار ، يعني : لأنكروا وقالوا : أقرآن أعجمي ورسول عربي ، أو مرسل إليه عربي ؟([9]) .

أنكروا أن يكون الكتاب جامعاً لصفتين متناقضتين ، وذلك حاصل في نظرهم بدليل قولهم (لولا فصلت آياته) وأفاد الاستفهام مع الإنكار التعجب([10]) .

([1]) الأنبياء : ٤٤ .

([2]) البحر المحيط ج٦ ص٢٩٣ ، وانظر أساليب الاستفهام في القرآن ص٤٧ .

([3]) الأنبياء : ٥٠ .

([4]) البحر المحيط ج٦ ص٢٩٥ . وأساليب الاستفهام في القرآن ص٤٧ .

([5]) مريم : ٤٦ .

([6]) أساليب الاستفهام في القرآن ص٤٧ .

([7]) المرجع نفسه والصفحة .

([8]) فصلت : ٤٤ .

([9]) الكشاف ج٤ ص١١٦ .

([10]) أساليب الاستفهام في القرآن ص٤٧-٤٨ .

ومن إنكار الوقوع مع التوبيخ والتهكم ، قوله تعالى : (أَلَكُمُ الذَّكَرُ وَلَهُ الأُنْثَى)([1]) أي : ليس الأمر كما زعمتم وعليه قوله تعالى : (أَعِنْدَهُ عِلْمُ الْغَيْبِ فَهُوَ يَرَى)([2]) أي : ليس عنده ذلك ، وفي الآيتين سخرية([3]) .

كذلك يكون إنكار الوقوع مع التوبيخ والتعظيم ، كقوله تعالى : (أَإِلَهٌ مَعَ اللَّهِ بَلْ هُمْ قَوْمٌ يَعْدِلُونَ)([4]) ، وقوله تعالى : (قَالَتْ رُسُلُهُمْ أَفِي اللَّهِ شَكٌّ فَاطِرِ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ)([5]) .

أي : ليس في الله شك ، وليس معه إله ، وقد تضمن الاستفهام تعظيم الله ، وتوبيخ من شك فيه ، أو أشرك به([6]) .

الخامس عشر: الهمزة وبعدها حرف العطف (الواو أو الفاء) وبعدها لفظ (من):

وهذا الأسلوب من أساليب الهمزة التي أريد بها نفي المشابهة بين فريقين متباعدين في الصفة ، وجملتها في القرآن ثلاثة عشر منها اثنتان (أومن) وأحد عشر (أفمن) كقوله تعالى : (أَوَمَنْ كَانَ مَيْتًا فَأَحْيَيْنَاهُ وَجَعَلْنَا لَهُ نُورًا يَمْشِي بِهِ فِي النَّاسِ كَمَنْ مَثَلُهُ فِي الظُّلُمَاتِ لَيْسَ بِخَارِجٍ مِنْهَا كَذَلِكَ زُيِّنَ لِلْكَافِرِينَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ)([7]) .

أي : ليس هذا الفريق كهذا الفريق([8]) .

وقوله تعالى : (أَفَمَنْ يَخْلُقُ كَمَنْ لا يَخْلُقُ أَفَلا تَذَكَّرُونَ)([9]) ، وقوله تعالى : (أَفَمَنْ يَعْلَمُ أَنَّمَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ الْحَقُّ كَمَنْ هُوَ أَعْمَى إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُولُوا الأَلْبَابِ)([10])

([1]) النجم : ٢١ .

([2]) النجم : ٣٥ .

([3]) المرجع نفسه ص٤٨ .

([4]) النمل : ٦٠ .

([5]) إبراهيم : ١٠ .

([6]) المرجع نفسه والصفحة .

([7]) الأنعام : ١٢٢ .

([8]) أساليب الاستفهام في القرآن ص٤٨ .

([9]) النحل : ١٧ .

([10]) الرعد : ١٩ .

وقد يحذف الخبر كقوله تعالى : (أَوَمَنْ يُنَشَّأُ فِي الْحِلْيَةِ وَهُوَ فِي الْخِصَامِ غَيْرُ مُبِينٍ)([1]) . والتقدير : كمن ليس كذلك ، أي : أومن ينشأ في الحلية وهو في الخصام غير مبين خير أم من ليس كذلك ؟([2]) .

ويقول القرطبي في تقدير الخبر في هذه الآية : (والخبر مضمر قاله الفراء وتقديره أومن كان على هذه الحالة يستحق العبادة)([3]) .

ومما حذف منه الخبر قوله تعالى : (أَفَمَنْ كَانَ عَلَى بَيِّنَةٍ مِنْ رَبِّهِ وَيَتْلُوهُ شَاهِدٌ مِنْهُ وَمِنْ قَبْلِهِ كِتَابُ مُوسَى إِمَامًا وَرَحْمَةً أُولَئِكَ يُؤْمِنُونَ بِهِ وَمَنْ يَكْفُرْ بِهِ مِنَ الأَحْزَابِ فَالنَّارُ مَوْعِدُهُ فَلا تَكُ فِي مِرْيَةٍ مِنْهُ إِنَّهُ الْحَقُّ مِنْ رَبِّكَ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لا يُؤْمِنُونَ)([4]) .

وجاء في تقديره قول القرطبي : ((أفمن كان على بينة من ربه) : ابتداء والخبر محذوف ، أي : فمن كان على بينة من ربه في اتباع النبي صلى الله عليه وسلم ومعه من الفضل ما يتبين به ، كغيره ممن يريد الحياة الدنيا وزينتها)([5]) .

كذلك قوله تعالى : (أَفَمَنْ هُوَ قَائِمٌ عَلَى كُلِّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ وَجَعَلُوا لِلَّهِ شُرَكَاءَ قُلْ سَمُّوهُمْ أَمْ تُنَبِّئُونَهُ بِمَا لَا يَعْلَمُ فِي الْأَرْضِ أَمْ بِظَاهِرٍ مِنَ الْقَوْلِ بَلْ زُيِّنَ لِلَّذِينَ كَفَرُوا مَكْرُهُمْ وَصُدُّوا عَنِ السَّبِيلِ وَمَنْ يُضْلِلِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِنْ هَادٍ)([6]) .

وجاء في تقديره : (والجواب محذوف والمعنى : أفمن هو حافظ لا يغفل كمن يغفل)([7]) .

ومنه كذلك قوله تعالى : (أَفَمَنْ شَرَحَ اللَّهُ صَدْرَهُ لِلإِسْلامِ فَهُوَ عَلَى نُورٍ مِنْ رَبِّهِ فَوَيْلٌ لِلْقَاسِيَةِ قُلُوبُهُمْ مِنْ ذِكْرِ اللَّهِ أُولَئِكَ فِي ضَلالٍ مُبِينٍ)([8]) .

([1]) الزخرف : ١٨ .

([2]) المرجع نفسه ص٤٩ .

([3]) تفسير القرطبي ج١٦ ص٧٢ .

([4]) هود : ١٧ .

([5]) المرجع نفسه ج٩ ص١٦ .

([6]) الرعد : ٣٣ .

([7]) المرجع نفسه ج٩ ص٣٢٢ .

([8]) الزمر : ٢٢ .

وقد جاء في تقدير الخبر في هذه الآية ((أَفَمَنْ شَرَحَ اللَّهُ صَدْرَهُ لِلإِسْلامِ..) أي : على هدى من ربه كمن طبع على قلبه وأقساه ؟ ودل على هذا المحذوف قوله : (فَوَيْلٌ لِلْقَاسِيَةِ قُلُوبُهُمْ)([1]) .

وأيضاً منه قوله تعالى : (أَفَمَنْ يَتَّقِي بِوَجْهِهِ سُوءَ الْعَذَابِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَقِيلَ لِلظَّالِمِينَ ذُوقُوا مَا كُنْتُمْ تَكْسِبُونَ)([2]) .

ويقول القرطبي في هذه الآية : (والخبر محذوف ، قال الأخفش : أي أفمن يتقي بوجهه سوء العذاب أفضل أمن سعد ؟ مثل قوله : (أفمن يلقى في النار خيراً أمن يأتي آمنا يوم القيامة)([3]) .

ومنه قوله تعالى : (أَفَمَنْ زُيِّنَ لَهُ سُوءُ عَمَلِهِ فَرَآَهُ حَسَنًا فَإِنَّ اللَّهَ يُضِلُّ مَنْ يَشَاءُ وَيَهْدِي مَنْ يَشَاءُ فَلا تَذْهَبْ نَفْسُكَ عَلَيْهِمْ حَسَرَاتٍ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ بِمَا يَصْنَعُونَ)([4]) .

ويقول القرطبي عن هذه الآية : (أفمن زين له سوء عمله) من في موضع رفع بالابتداء وخبره محذوف ، قال الكسائي : والذي يدل عليه قوله تعالى (فلا تذهب نفسك عليهم حسرات) فالمعنى : أفمن زين له سوء عمله فرآه حسناً ذهبت نفسك عليهم حسرات ، وقال : وهذا كلام عربي طريف لا يعرفه إلا قليل وذكره الزمخشري عن الزجاج([5]) . قال النحاس : والذي قاله الكسائي أحسن ما قيل في الآية لما ذكره من الدلالة على المحذوف ، وقيل الجواب محذوف ، المعنى : أفمن زين له سوء عمله كمن هدى ؟ ويكون يدل على هذا المحذوف (فَإِنَّ اللَّهَ يُضِلُّ مَنْ يَشَاءُ وَيَهْدِي مَنْ يَشَاءُ)([6]) .

([1]) المرجع نفسه ج١٥ ص٢٤٧ .

([2]) الزمر : ٢٤ .

([3]) فصلت : ٤٠ . والمرجع نفسه ج١٥ ص٢٥١ .

([4]) فاطر : ٨ .

([5]) الزجاج عبدالرحمن بن اسحق الزجاجي أبو القاسم النحوي تلميذ الشيخ أبي اسحق الزجاج ، ومن تصانيفه كتاب الجمل في النحو (البلغة ج١ ص١٣١) .

([6]) المرجع نفسه ج١٤ ص٣٢٤-٣٢٥ .

وبقية أساليبها هي في قوله تعالى : (أَفَمَنِ اتَّبَعَ رِضْوَانَ اللَّهِ كَمَنْ بَاءَ بِسَخَطٍ مِنَ اللَّهِ وَمَأْوَاهُ جَهَنَّمُ وَبِئْسَ الْمَصِيرُ)([1]) .

وكذلك قوله تعالى : (أَفَمَنْ وَعَدْنَاهُ وَعْدًا حَسَنًا فَهُوَ لَاقِيهِ كَمَنْ مَتَّعْنَاهُ مَتَاعَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا ثُمَّ هُوَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ مِنَ الْمُحْضَرِينَ)([2]) .

وأيضاً قوله تعالى : (أَفَمَنْ كَانَ مُؤْمِنًا كَمَنْ كَانَ فَاسِقًا لا يَسْتَوُونَ)([3]) كما أنها في قوله تعالى : (أَفَمَنْ كَانَ عَلَى بَيِّنَةٍ مِنْ رَبِّهِ كَمَنْ زُيِّنَ لَهُ سُوءُ عَمَلِهِ وَاتَّبَعُوا أَهْوَاءَهُمْ)([4]) .

السادس عشر : الهمزة مع أم المتصلة :

وفي هذا الأسلوب يأتي بعد أم المتصلة المبتدأ وبعدها المعادل ويحتوي الأسلوب على أفعل التفضيل الذي ليس على بابه ، والاستفهام في هذه الأساليب للتقرير ، بمعنى طلب الاعتراف والحكم بين شيئين لا يخفى خبرهما على العاقل . وقد تفيد مع ذلك التوبيخ كقوله تعالى : (أَأَرْبَابٌ مُتَفَرِّقُونَ خَيْرٌ أَمِ اللَّهُ الْوَاحِدُ الْقَهَّارُ)([5]) وقوله تعالى : (آللَّهُ خَيْرٌ أَمَّا يُشْرِكُونَ)([6]) .

كما أنها تفيد مع التقرير التعريض كقوله تعالى : (أَفَمَنْ يَمْشِي مُكِبًّا عَلَى وَجْهِهِ أَهْدَى أَمَّنْ يَمْشِي سَوِيًّا عَلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ)([7]) وتفيد مع التقرير التهكم كقوله تعالى : (قُلْ أَأَنْتُمْ أَعْلَمُ أَمِ اللَّهُ)([8]) أو تفيد مع التقرير الوعيد كقوله تعالى : (أَفَمَنْ يُلْقَى فِي النَّارِ خَيْرٌ أَمْ مَنْ يَأْتِي آمِنًا يَوْمَ الْقِيَامَةِ)([9]) .

([1]) آل عمران : ١٦٢ .

([2]) القصص : ٦١ .

([3]) السجدة : ١٨ .

([4]) محمد : ١٤ .

([5]) يوسف : ٣٩ .

([6]) النمل : ٥٩ .

([7]) الملك : ٢٢ .

([8]) البقرة : ١٤٠ .

([9]) فصلت : ٤٠ .

وخير في هذه الأساليب لإفادة الوصف لا التفضيل([1]) .

السابع عشر : الهمزة المستعملة مع النفي :

واستعمال الهمزة في هذه الأساليب سواء تلاها النفي متصلاً بها أو منفصلاً منها بعاطف ، فهي تدل حينئذ على أحد معان ثلاث :

١/ همزة التقرير : وهي في أساليب : (أليس) ، (أوليس) وقد تصحب التقرير معان أخرى مثل الوعيد كما في قوله تعالى : (أَلَيْسَ فِي جَهَنَّمَ مَثْوًى لِلْكَافِرِينَ)([2]) وقوله تعالى : (أَلَيْسَ اللَّهُ بِعَزِيزٍ ذِي انْتِقَامٍ)([3]) .

كذلك يصحبه التوبيخ والتهكم كقوله تعالى : (وَيَوْمَ يُعْرَضُ الَّذِينَ كَفَرُوا عَلَى النَّارِ أَلَيْسَ هَذَا بِالْحَقِّ قَالُوا بَلَى وَرَبِّنَا قَالَ فَذُوقُوا الْعَذَابَ بِمَا كُنْتُمْ تَكْفُرُونَ)([4]) . كما يجئ مع التقرير التعظيم كقوله تعالى : (أَلَيْسَ اللَّهُ بِأَحْكَمِ الْحَاكِمِينَ)([5]) . وقوله تعالى : (أَوَلَيْسَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضَ بِقَادِرٍ عَلَى أَنْ يَخْلُقَ مِثْلَهُمْ بَلَى وَهُوَ الْخَلَّاقُ الْعَلِيمُ)([6]) .

الهمزة مع حرف النفي لن : (ألن) وهي تفيد التقرير والتثبيت والتلطف ، وقد وردت في قوله تعالى : (إِذْ تَقُولُ لِلْمُؤْمِنِينَ أَلَنْ يَكْفِيَكُمْ أَنْ يُمِدَّكُمْ رَبُّكُمْ بِثَلاثَةِ آلافٍ مِنَ الْمَلائِكَةِ مُنْزَلِينَ)([7]) .

الهمزة مع حرف النفي لم وهي تفيد التقرير وتجئ مع التقرير معان أخرى مثل : الامتنان وذلك في قوله تعالى : (أَلَمْ نَشْرَحْ لَكَ صَدْرَكَ)([8]) ، وقوله تعالى : (أَلَمْ نَجْعَلِ الأَرْضَ مِهَادًا)([9]) .

([1]) أساليب الاستفهام في القرآن ص٤٩-٥٠ .

([2]) العنكبوت : ٦٨ .

([3]) الزمر : ٣٧ .

([4]) الأحقاف : ٣٤ .

([5]) التين : ٨ .

([6]) يس : ٨١ .

([7]) آل عمران : ١٢٤ .

([8]) الانشراح : ١ .

([9]) النبأ : ٦ .

أو التزلف في قوله تعالى : (فَإِنْ كَانَ لَكُمْ فَتْحٌ مِنَ اللَّهِ قَالُوا أَلَمْ نَكُنْ مَعَكُمْ)([1]) فتودد المنافقين إلى المؤمنين وهم منتصرون واضح مع التقرير([2]) .

أو التقرير والتحقير في قوله تعالى : (أَلَمْ يَكُ نُطْفَةً مِنْ مَنِيٍّ يُمْنَى)([3]) أو التقرير والاستبطاء والعتاب وذلك في قوله تعالى : (أَلَمْ يَأْنِ لِلَّذِينَ آَمَنُوا أَنْ تَخْشَعَ قُلُوبُهُمْ لِذِكْرِ اللَّهِ)([4]) أو التقرير والوعيد في قوله تعالى : (أَلَمْ نُهْلِكِ الأَوَّلِينَ)([5]) . أو التقرير والتوبيخ كما في قوله تعالى : (أَلَمْ تَكُنْ أَرْضُ اللَّهِ وَاسِعَةً فَتُهَاجِرُوا فِيهَا)([6]) وفي قوله تعالى : (أَوَلَمْ نَنْهَكَ عَنِ الْعَالَمِينَ)([7]) . وقد يكون مع التقرير التعظيم كما في قوله تعالى : (أَوَلَمْ يَكْفِ بِرَبِّكَ أَنَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ)([8]) .

الهمزة مع حرف النفي لا (ألا) وتفيد مع التقرير الإغراء كما في قوله تعالى : (أَلا تَرَوْنَ أَنِّي أُوفِي الْكَيْلَ وَأَنَا خَيْرُ الْمُنْزِلِينَ)([9]) .

ومن نادر التقرير الذي تفيده الهمزة مع النفي أن يكون بمعنى طلب الاعتراف : وقد جاء في قوله تعالى : (أَفَمَا نَحْنُ بِمَيِّتِينَ إِلا مَوْتَتَنَا الأُولَى وَمَا نَحْنُ بِمُعَذَّبِينَ)([10]) .

فالنفي في جملة (ما نحن بميتين) باق على معناه ولم تذهب دلالته في الكلام : فالسائل سواء أكان القائل في قوله قبل ذلك (قَالَ قَائِلٌ مِنْهُمْ إِنِّي كَانَ لِي

([1]) النساء : ١٤١ .

([2]) المرجع نفسه ص٥١ .

([3]) القيامة : ٣٧ .

([4]) الحديد : ١٦

([5]) المرسلات : ١٦ .

([6]) النساء : ٩٧ .

([7]) الحجر : ٧٠ .

([8]) فصلت : ٥٣ .

([9]) يوسف : ٥٩ .

([10]) الصافات : ٥٨-٥٩ .

قَرِينٌ)([1]) ، أم كان أهل الجنة ، فإنه يريد التقرير بمعنى طلب اعتراف المخاطبين بمضمون الجملة المنفية مع إظهار الغبطة والسرور([2]) .

٢/ المعنى الثاني الذي تفيده الهمزة مع النفي : (الإنكار) ، والمقصود بالإنكار هنا إنكار الواقع في النفي : وذلك بمعنى أن المخاطبين قد تركوا فعلاً ما كان ينبغي أن يتركوه ، فترك الفعل قد وقع منهم . وهذه الأساليب تفيد التوبيخ على هذا الترك ، وتفيد أيضاً طلب هذا الفعل المتروك([3]) .

وهذه الهمزة التي تفيد إنكار الواقع في النفي ، أساليبها إما أن تأتي في نهايات الآيات ، أو في غير نهاياتها ؛ كأن تكون في وسط الآيات أو في صدورها([4]) .

فمما جاء من هذه الأساليب في خواتم الآيات ، أساليب (ألا) وبعدها الفعل المتروك ، والمراد الإتيان به ، فمنها على سبيل المثال قوله تعالى : (وَإِنَّ إِلْيَاسَ لَمِنَ الْمُرْسَلِينَ إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ أَلا تَتَّقُونَ)([5]) ، وقوله تعالى : (وَإِذْ نَادَى رَبُّكَ مُوسَى أَنِ ائْتِ الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ قَوْمَ فِرْعَوْنَ أَلا يَتَّقُونَ)([6]) فقوم إلياس وقوم فرعون تركوا التقوى:وأنكرت الهمزة عليهم هذا الترك،ووبخوا عليه ، وطلب منهم أن يتقوا([7])

وهذه الأساليب قد تفيد مع الإنكار وطلب الإتيان بالفعل معان أخرى ، كالسخرية ، كما في قوله تعالى : (فَرَاغَ إِلَى آلِهَتِهِمْ فَقَالَ أَلا تَأْكُلُونَ)([8]) فإبراهيم يعلم أنها جماد ؛ ولكنه طلب منها أن تأكل سخرية بها واستخفافاً([9]) كما أنها تفيد

([1]) الصافات : ٥١ .

([2]) المرجع نفسه ص٥٢ .

([3]) المرجع نفسه ص٥٣ .

([4]) انظر المرجع نفسه ص٥٣-٥٨ .

([5]) الصافات : ١٢٣-١٢٤ .

([6]) الشعراء : ١٠-١١ .

([7]) المرجع نفسه ص٥٣ .

([8]) سورة الصافات : ٩١ .

([9]) المرجع نفسه ص٥٣ .

التودد والإيناس ، وذلك في قوله تعالى : (فَرَاغَ إِلَى أَهْلِهِ فَجَاءَ بِعِجْلٍ سَمِينٍ فَقَرَّبَهُ إِلَيْهِمْ قَالَ أَلا تَأْكُلُونَ)([1]) .

فإبراهيم ينكر من ضيفه ألا يأكلوا ، ويطلب إليهم في تودد أن يأكلوا([2]) .

وحيث تجئ الهمزة التي تفيد الإنكار مع النفي ، وتجئ بعدها الفاء في أساليب (أفلا) فإما أن يأتي معها فعل العقل مثل قوله تعالى : (وَمَنْ نُعَمِّرْهُ نُنَكِّسْهُ فِي الْخَلْقِ أَفَلا يَعْقِلُونَ)([3]) ، وقوله تعالى : (وَإِذَا لَقُوا الَّذِينَ آَمَنُوا قَالُوا آَمَنَّا وَإِذَا خَلا بَعْضُهُمْ إِلَى بَعْضٍ قَالُوا أَتُحَدِّثُونَهُمْ بِمَا فَتَحَ اللَّهُ عَلَيْكُمْ لِيُحَاجُّوكُمْ بِهِ عِنْدَ رَبِّكُمْ أَفَلا تَعْقِلُونَ)([4]) .

وفي هذه المواضع ، قد وقع ترك العقل من المخاطبين ، وقد أنكر عليهم هذا الترك وطلب إليهم أن يعقلوا مع إفادة التوبيخ([5]) .

وإما أن يأتي معها فعل التقوى ، كما في قوله تعالى : (وَإِلَى عَادٍ أَخَاهُمْ هُودًا قَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ أَفَلا تَتَّقُونَ)([6]) وقوله تعالى : (فَأَرْسَلْنَا فِيهِمْ رَسُولا مِنْهُمْ أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ أَفَلا تَتَّقُونَ)([7]) .

كذلك يأتي بعدها فعل التذكر مثل قوله تعالى : (اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ مَا لَكُمْ مِنْ دُونِهِ مِنْ وَلِيٍّ وَلا شَفِيعٍ أَفَلا تَتَذَكَّرُونَ)([8]) وقوله تعالى : (وَيَا قَوْمِ مَنْ يَنْصُرُنِي مِنَ اللَّهِ إِنْ طَرَدْتُهُمْ أَفَلا تَذَكَّرُونَ)([9]) .

([1]) الذاريات : ٢٧-٢٨ .

([2]) المرجع نفسه ص٥٤ .

([3]) يس : ٦٨ .

([4]) البقرة : ٧٦ .

([5]) المرجع نفسه والصفحة .

([6]) الأعراف : ٦٥ .

([7]) المؤمنون : ٣٢ .

([8]) السجدة : ٤ .

([9]) هود : ٣٠ .

أيضاً يأتي بعدها فعل البصر ، كما في قوله تعالى : (وَفِي أَنْفُسِكُمْ أَفَلا تُبْصِرُونَ)([1]) وقوله تعالى : (أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّا نَسُوقُ الْمَاءَ إِلَى الأَرْضِ الْجُرُزِ فَنُخْرِجُ بِهِ زَرْعًا تَأْكُلُ مِنْهُ أَنْعَامُهُمْ وَأَنْفُسُهُمْ أَفَلا يُبْصِرُونَ)([2]) .

ويأتي بعدها فعل السمع مثل قوله تعالى : (أَوَلَمْ يَهْدِ لَهُمْ كَمْ أَهْلَكْنَا مِنْ قَبْلِهِمْ مِنَ الْقُرُونِ يَمْشُونَ فِي مَسَاكِنِهِمْ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ أَفَلا يَسْمَعُونَ)([3]) وقوله تعالى : (قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ جَعَلَ اللَّهُ عَلَيْكُمُ اللَّيْلَ سَرْمَدًا إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ مَنْ إِلَهٌ غَيْرُ اللَّهِ يَأْتِيكُمْ بِضِيَاءٍ أَفَلا تَسْمَعُونَ)([4]) .

ويأتي بعدها فعل الشكر كما في قوله تعالى : (وَلَهُمْ فِيهَا مَنَافِعُ وَمَشَارِبُ أَفَلا يَشْكُرُونَ)([5]).وقوله تعالى:(لِيَأْكُلُوا مِنْ ثَمَرِهِ وَمَا عَمِلَتْهُ أَيْدِيهِمْ أَفَلا يَشْكُرُونَ)([6]) .

وكذلك يأتي بعدها فعل الإيمان في قوله تعالى : (أَوَلَمْ يَرَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنَّ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضَ كَانَتَا رَتْقًا فَفَتَقْنَاهُمَا وَجَعَلْنَا مِنَ الْمَاءِ كُلَّ شَيْءٍ حَيٍّ أَفَلا يُؤْمِنُونَ)([7]) .

كما أنه يأتي بعدها فعل التفكر في قوله تعالى : (قُلْ لا أَقُولُ لَكُمْ عِنْدِي خَزَائِنُ اللَّهِ وَلا أَعْلَمُ الْغَيْبَ وَلا أَقُولُ لَكُمْ إِنِّي مَلَكٌ إِنْ أَتَّبِعُ إِلا مَا يُوحَى إِلَيَّ قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الأَعْمَى وَالْبَصِيرُ أَفَلا تَتَفَكَّرُونَ)([8]) .

فالمراد بالاستفهام في كل ما سبق الإنكار على المخاطبين ؛ لأنهم لم يتقوا ولم يتذكروا ، ولم يبصروا ، ولم يسمعوا ، ولم يشكروا ، ولم يؤمنوا ، ولم يتفكروا ،

([1]) الذاريات : ٢١ .

([2]) السجدة : ٢٧ .

([3]) السجدة : ٢٦ .

([4]) القصص : ٧١ .

([5]) يس : ٧٣ .

([6]) يس : ٣٥ .

([7]) الأنبياء : ٣٠ .

([8]) الأنعام : ٥٠ .

وقد وبخوا على هذا الترك وطلب منهم الإتيان بهذه الأفعال أي طلب منهم التقوى ، والتذكر ، والبصر ، .. الخ([1]) .

ومما جاء من أساليب الهمزة في إنكار الواقع في النفي ب(أليس) قوله تعالى : (وَجَاءَهُ قَوْمُهُ يُهْرَعُونَ إِلَيْهِ وَمِنْ قَبْلُ كَانُوا يَعْمَلُونَ السَّيِّئَاتِ قَالَ يَا قَوْمِ هَؤُلاءِ بَنَاتِي هُنَّ أَطْهَرُ لَكُمْ فَاتَّقُوا اللَّهَ وَلا تُخْزُونِ فِي ضَيْفِي أَلَيْسَ مِنْكُمْ رَجُلٌ رَشِيدٌ)([2]) .

فلوط عليه السلام قد أنكر على قومه أن لا رشيد فيهم ، ووبخهم على عدم رشدهم وإتباعهم الغي ، وطلب منهم أن يرشدوا ويعقلوا ، وهذا الموضع من نادر إنكار الواقع في النفي ب(أليس)([3]) .

وكما أشرنا من قبل أن الهمزة التي تفيد إنكار الواقع في النفي ، قد تكون أساليبها في نهايات الآيات كما سبق ، وقد تكون في غير نهايات الآيات . فمما جاء من أساليبها في إنكار الواقع في النفي مع التوبيخ والطلب في وسط الآيات قوله تعالى : (وَلا يَأْتَلِ أُولُو الْفَضْلِ مِنْكُمْ وَالسَّعَةِ أَنْ يُؤْتُوا أُولِي الْقُرْبَى وَالْمَسَاكِينَ وَالْمُهَاجِرِينَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلْيَعْفُوا وَلْيَصْفَحُوا أَلا تُحِبُّونَ أَنْ يَغْفِرَ اللَّهُ لَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ)([4]) .

فقد أنكر على المخاطبين ألا يحبوا ذلك ، وأراد بالحب مباشرة أسبابه من الإنفاق،والعفو،والصفح،وطلب منهم الإتيان بهذه الأمور،وفي الآية عتاب لا توبيخ([5]) .

ومما جاء من أساليب الهمزة في إنكار الواقع في النفي مع التوبيخ وطلب الفعل ، وقد وقع في صدور الآيات وذلك كثير منه على سبيل المثال قوله تعالى : (أَلا يَظُنُّ أُولَئِكَ أَنَّهُمْ مَبْعُوثُونَ لِيَوْمٍ عَظِيمٍ)([6]) وقوله تعالى : (أَفَلا يَنْظُرُونَ إِلَى الإِبِلِ كَيْفَ خُلِقَتْ)([1]) ، وقوله تعالى : (أَفَلا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ أَمْ عَلَى قُلُوبٍ أَقْفَالُهَا)([2]) .. وهكذا في كل ما ورد من أساليب الهمزة في إنكار الواقع في النفي،

([1]) انظر أساليب الاستفهام في القرآن ص٥٦ .

([2]) هود : ٧٨ .

([3]) انظر المرجع نفسه ص٥٧-٥٨ .

([4]) النور : ٢٢ .

([5]) انظر المرجع نفسه ص٥٨ .

([6]) المطففين : ٤-٥ .

إنما جاء ليفيد التوبيخ على ترك الأفعال المأمور بها ، وطلب هذه الأفعال([3]) .

٣/ المعنى الثالث الذي تفيده الهمزة التي بعدها النفي ، احتمال المعنيين ، وهما : التقرير ، وإنكار النفي في الواقع .

وأساليب الهمزة في هذه المواضع ، إما أن يأتي بعد الهمزة فعل الرؤية أو فعل العلم ، وهذه الأفعال إما أن تستعمل في صورة الغيبة ، أو في صورة الخطاب .

فمما جاء من أسلوب الهمزة مع فعل العلم في صورة الغيبة قوله تعالى : (أَرَأَيْتَ الَّذِي يَنْهَى عَبْدًا إِذَا صَلَّى أَرَأَيْتَ إِنْ كَانَ عَلَى الْهُدَى أَوْ أَمَرَ بِالتَّقْوَى أَرَأَيْتَ إِنْ كَذَّبَ وَتَوَلَّى أَلَمْ يَعْلَمْ بِأَنَّ اللَّهَ يَرَى)([4]) وقوله تعالى : (أَلَمْ يَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ سِرَّهُمْ وَنَجْوَاهُمْ وَأَنَّ اللَّهَ عَلامُ الْغُيُوبِ)([5]) . وفي كل ما ورد من ذلك من آيات ، فالمعنى المراد من الاستفهام ، إما التقرير أي إثبات العلم مع التوبيخ ، وإما إنكار عدم العلم والتوبيخ على تركه ، وطلب أن يعلموا([6]) .

ومما جاء من هذه الأساليب مع فعل العلم في صورة الخطاب قوله تعالى : (أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ لَهُ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ يُعَذِّبُ مَنْ يَشَاءُ وَيَغْفِرُ لِمَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ)([7]) ، وقوله تعالى : (أَلَمْ تَعْلَمُوا أَنَّ أَبَاكُمْ قَدْ أَخَذَ عَلَيْكُمْ مَوْثِقًا مِنَ اللَّهِ وَمِنْ قَبْلُ مَا فَرَّطْتُمْ فِي يُوسُفَ فَلَنْ أَبْرَحَ الأَرْضَ حَتَّى يَأْذَنَ لِي أَبِي أَوْ يَحْكُمَ اللَّهُ لِي وَهُوَ خَيْرُ الْحَاكِمِينَ)([8]) .

([1]) الغاشية : ١٧ .

([2]) محمد : ٢٤ .

([3]) انظر أساليب الاستفهام في القرآن ص٥٨-٦١ .

([4]) العلق : ٩-١٤ .

([5]) التوبة : ٧٨ .

([6]) انظر المرجع نفسه ص٦٢ .

([7]) المائدة : ٤٠ .

([8]) يوسف : ٨٠ .

وكل ما ورد من هذه الأساليب ، فمعنى الاستفهام فيه إما لإنكار عدم العلم مع طلبه من المخاطبين ، وإما تقريرهم بمعنى إثبات العلم لهم وهو الأقرب ؛ لأن التقرير بهذا المعنى يكثر في أساليب الخطاب([1]) .

ومما جاء من أساليب الهمزة وبعدها فعل الرؤية في صورة الغيبة ، قوله تعالى : (أَلَمْ يَرَوْا أَنَّا جَعَلْنَا اللَّيْلَ لِيَسْكُنُوا فِيهِ وَالنَّهَارَ مُبْصِرًا إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ)([2]) وقوله تعالى : (أَوَلَمْ يَرَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنَّ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضَ كَانَتَا رَتْقًا فَفَتَقْنَاهُمَا وَجَعَلْنَا مِنَ الْمَاءِ كُلَّ شَيْءٍ حَيٍّ أَفَلا يُؤْمِنُونَ)([3]) وقوله تعالى : (أَوَلَمْ يَرَوْا كَيْفَ يُبْدِئُ اللَّهُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ إِنَّ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ)([4]) .

وأساليب الهمزة مع النفي وبعدها فعل الرؤية في صورة الغيبة في مواضع كثيرة من القرآن الكريم ، وهذه الأساليب سواء جاء بعد الهمزة حرف النفي مباشرة أو فصل بينه وبينها عاطف (الواو ، أو الفاء) فالاستفهام بالهمزة في كل ذلك ؛ إما للتقرير بمعنى إثبات الرؤية للمتحدث عنه مع التوبيخ ، وإما لإنكار الواقع في النفي ، بمعنى أنهم لم يروا فهم ملومون على ترك الرؤية موبخون عليها مأمورون بأن يروا([5]) .

وأما أساليب الهمزة مع فعل الرؤية في صورة الخطاب فهي كثيرة ، ودائماً ما تفيد التنبيه والتعجيب ، وتوجيه الأسماع والقلوب إلى ما يأتي بعدها ، فإن جاءت بعدها كلمة (كيف أو أنى) فهي للتعجيب غالباً ، مثل قوله تعالى : (أَلَمْ تَرَ كَيْفَ ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلا كَلِمَةً طَيِّبَةً كَشَجَرَةٍ طَيِّبَةٍ أَصْلُهَا ثَابِتٌ وَفَرْعُهَا فِي السَّمَاءِ)([6]) وقوله تعالى : (أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ يُجَادِلُونَ فِي آيَاتِ اللَّهِ أَنَّى يُصْرَفُونَ)([7]) .

([1]) المرجع نفسه ص٦٣ .

([2]) النمل : ٨٦ .

([3]) الأنبياء : ٣٠ .

([4]) العنكبوت : ١٩ .

([5]) انظر المرجع نفسه ص٦٣-٦٥ .

([6]) إبراهيم : ٢٤ .

([7]) غافر : ٦٩ .

وحيث ما جاءت هذه الأساليب فمعنى الرؤية فيها غالباً للعلم ، وقد يكون للنظر ، كما أنها تقع في صدور الآيات ، وإفادتها التنبيه والتعجيب دائمة ، ولا يظهر معنى التقرير فيها إلا إذا كان ما في حيزها معلوماً بالمشاهدة . وأن أسلوبها يتلوه ما يراد تفصيله كما في قوله تعالى : (أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ خَرَجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ وَهُمْ أُلُوفٌ حَذَرَ الْمَوْتِ فَقَالَ لَهُمُ اللَّهُ مُوتُوا ثُمَّ أَحْيَاهُمْ إِنَّ اللَّهَ لَذُو فَضْلٍ عَلَى النَّاسِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لا يَشْكُرُونَ)(١) . ومنها قوله تعالى : (أَلَمْ تَرَ أَنَّا أَرْسَلْنَا الشَّيَاطِينَ عَلَى الْكَافِرِينَ تَؤُزُّهُمْ أَزًّا)(٢) والمراد تعجيب رسول الله صلى الله عليه وسلم بعد الآيات التي ذكر فيها العتاة من الكفار وأقاويلهم(٣) .

الثامن عشر : الهمزة وأم المتصلة :

واستعمال الهمزة مع أم المتصلة يقصد بها طلب تعيين شئ من شيئين أو أشياء ، والغالب فيها حينئذ أن يليها الاسم فالمكمل فأم فالاسم المعادل ، كقوله تعالى : (قُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ وَسَلامٌ عَلَى عِبَادِهِ الَّذِينَ اصْطَفَى آللَّهُ خَيْرٌ أَمَّا يُشْرِكُونَ)(٤) ومنها قوله تعالى : (أَذَلِكَ خَيْرٌ نُزُلًا أَمْ شَجَرَةُ الزَّقُّومِ)(٥) . وقد يتأخر المكمل عن المعادل الذي ولى أم ، وذلك كما في قوله تعالى : (فَإِنْ تَوَلَّوْا فَقُلْ آذَنْتُكُمْ عَلَى سَوَاءٍ وَإِنْ أَدْرِي أَقَرِيبٌ أَمْ بَعِيدٌ مَا تُوعَدُونَ)(٦) . فأخر (ما توعدون) لرعاية الفواصل ولو جرى على الأكثر لقدمه على أم(٧) .

وتعادل أم المتصلة في القرآن الكريم بين الأفعال وهي في مواضع كثيرة(٨) . وتعد الهمزة وأم المتصلة أسلوباً واحداً ، وأم في الاستفهام بها تفيد العطف والذي أفاد الاستفهام الهمزة(١) .

---

(١) البقرة : ٢٤٣ . وانظر أساليب الاستفهام في القرآن ص٦٥-٦٩ .

(٢) مريم : ٨٣ .

(٣) البحر المحيط ج٦ ص٢٠٣ .

(٤) النمل : ٥٩ .

(٥) الصافات : ٦٢ .

(٦) الأنبياء : ١٠٩ .

(٧) انظر أساليب الاستفهام في القرآن ص٦٩-٧٠ .

(٨) انظر المرجع نفسه ص٧٠-٧٢ .

والأغراض البلاغية التي أفادتها الهمزة في أسلوب أم المتصلة هي التقرير غالباً مع التهكم والسخرية([2]) .

([1]) المرجع نفسه ص٧٢ .

([2]) المرجع نفسه والصفحة .

المبحث الثاني

أساليب أم المنقطعة

وكثر ورود أم المنقطعة في القرآن الكريم كثرة واضحة ، وتعددت أساليبها ، إذ يليها الفعل الماضي ، والمضارع والخبر ، والمبتدأ ، كما يليها ما يدل على الاستفهام مثل : (من ، وماذا ، وهل)([1]) .

ومن أساليبها مع الماضي ما أفاد إنكار الفعل الواقع مع التعجيب والتقبيح والتوبيخ كقوله تعالى : (أَمِ اتَّخَذُوا مِنْ دُونِهِ آلِهَةً قُلْ هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ)([2]) ، وقوله تعالى : (أَمِ اتَّخَذُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ شُفَعَاءَ قُلْ أَوَلَوْ كَانُوا لا يَمْلِكُونَ شَيْئًا وَلا يَعْقِلُونَ)([3]) .

فاتخاذهم الآلهة والشفعاء واقع منهم ، وهم موبخون عليه ، لأنه قبيح ما كان ينبغي وقوعه مع التعجيب منه([4]) .

وقد تفيد مع ذلك الوعيد كقوله تعالى : (أَمْ أَمِنْتُمْ مَنْ فِي السَّمَاءِ أَنْ يُرْسِلَ عَلَيْكُمْ حَاصِبًا فَسَتَعْلَمُونَ كَيْفَ نَذِيرِ)([5]) وكقوله تعالى : (أَمْ أَمِنْتُمْ أَنْ يُعِيدَكُمْ فِيهِ تَارَةً أُخْرَى فَيُرْسِلَ عَلَيْكُمْ قَاصِفًا مِنَ الرِّيحِ فَيُغْرِقَكُمْ بِمَا كَفَرْتُمْ ثُمَّ لا تَجِدُوا لَكُمْ عَلَيْنَا بِهِ تَبِيعًا)([6]) .

فأمنهم واقع يراد إنكاره ؛ أي : ليس لهم أن يأمنوا ذلك ، وفي ذلك من الوعيد ما فيه([7]) . إلى غير ذلك مما تفيده من معان مثل : السخرية ، والتوبيخ ، والعتاب([8]) .

ومن أساليبها مع المضارع الواقع الذي أريد إنكاره ، قوله تعالى : (أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَاهُ بَلْ هُوَ الْحَقُّ مِنْ رَبِّكَ لِتُنْذِرَ قَوْمًا مَا أَتَاهُمْ مِنْ نَذِيرٍ مِنْ قَبْلِكَ لَعَلَّهُمْ

([1]) انظر المرجع نفسه ص٨٧ .

([2]) الأنبياء : ٢٤ .

([3]) الزمر : ٤٣ .

([4]) المرجع نفسه والصفحة .

([5]) الملك : ١٧ .

([6]) الإسراء : ٦٩ .

([7]) المرجع نفسه ص٨٨ .

([8]) انظر المرجع نفسه والصفحة .

يَهْتَدُونَ)([1]) وكقوله تعالى : (أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَاهُ قُلْ فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِثْلِهِ وَادْعُوا مَنِ اسْتَطَعْتُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ)([2]) .

وكل ما جاء من هذه الأساليب يتصل بالقرآن الكريم ويفيد الإنكار على المشركين إذ يقولون : إن القرآن مفترى ، ويكذبون بأنه من عند الله ، كما أن المشركين كذبوا الرسول صلى الله عليه وسلم ، ولم يصدقوا برسالته ، فقولهم واقع قبيح معجب منه ، وهم موبخون عليه([3]) .

وحيثما جاءت أم مع أساليب المضارع ، سواء الواقع منه ، أو غير الواقع ، فإنها تفيد الإنكار مع التهكم والسخرية([4]) .

وإذا كان الفعل الذي وليها ناقصاً (ككان) فالإنكار يتجه إلى الخبر ونسبته إلى اسمها كقوله تعالى : (أَمْ كُنْتُمْ شُهَدَاءَ إِذْ وَصَّاكُمُ اللَّهُ بِهَذَا)([5]) ، أنكر شهادتهم وحضورهم وقت الوصية ، أي ما حدث ذلك مع التهكم والسخرية([6]) .

وتدخل أم على الجملة الاسمية المشتملة على الوصف الذي تضمن معنى الفعل المراد إنكاره ، كقوله تعالى : (أَمْ خُلِقُوا مِنْ غَيْرِ شَيْءٍ أَمْ هُمُ الْخَالِقُونَ)([7]) فالخالقون في معنى خلقوا ، والمعنى إنكار وقوع ذلك ونفيه مع التهكم بهم([8]) .

وكثر دخولها على الجملة الاسمية التي ليس فيها فعل ولا وصف بمعناه فتفيد نفي النسبة مع التهكم ، كقوله تعالى : (أَمْ عِنْدَهُمْ خَزَائِنُ رَحْمَةِ رَبِّكَ الْعَزِيزِ الْوَهَّابِ)([9]) وقوله تعالى : (أَمْ عِنْدَهُمُ الْغَيْبُ فَهُمْ يَكْتُبُونَ)([10]) ، وقوله تعالى : (أَمْ

([1]) السجدة : ٣ .

([2]) يونس : ٣٨ .

([3]) انظر المرجع نفسه ص٨٨ .

([4]) انظر المرجع نفسه ص٨٨-٨٩ .

([5]) الأنعام : ١٤٤ .

([6]) المرجع نفسه ص٩٠ .

([7]) الطور : ٣٥ .

([8]) المرجع نفسه والصفحة .

([9]) ص : ٩ .

([10]) القلم : ٤٧.

لَكُمْ بَرَاءَةٌ فِي الزُّبُرِ)([1]) . فالمعنى نفي النسبة : أي ليس عندهم الخزائن ، ولا الغيب ، وما لكم براءة مع التهكم([2]) .

وتستعمل أم مع النفي لتفيد أحد معنيين : أولهما : التقرير بمعنى التحقيق ، وذلك كما في قوله تعالى : (أَمْ لَمْ يُنَبَّأْ بِمَا فِي صُحُفِ مُوسَى ، وَإِبْرَاهِيمَ الَّذِي وَفَّى، أَلا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَى)([3]) ، فالمعنى على أنه أخبر بذلك فالتنبئ مثبت ومتحقق منه .

والمعنى الثاني الذي استعملت له هو : إنكار الواقع في النفي ، وذلك كما في قوله تعالى : (أَمْ لَمْ يَعْرِفُوا رَسُولَهُمْ فَهُمْ لَهُ مُنْكِرُونَ)([4]) . فالكفار – وإن عرفوا الرسول – جهلوا قدره ، وما ينبغي له ، فكانوا كأنهم غير عارفين به ، وجهلهم رسولهم واقع ، وهم موبخون على ترك المعرفة ، ويطلب منهم أن يعرفوه حق معرفته ، ويؤيد أنهم تركوا الفعل قوله بعد ذلك (فَهُمْ لَهُ مُنْكِرُونَ)([5]).

وتدخل أم على ما هو خبر ، ومن ذلك قوله تعالى : (أَمْ أَنَا خَيْرٌ مِنْ هَذَا الَّذِي هُوَ مَهِينٌ وَلا يَكَادُ يُبِينُ)([6]) . والمعنى على الإثبات أي (أنا خير) . وكذلك قوله تعالى : (أَمْ تَأْمُرُهُمْ أَحْلَامُهُمْ بِهَذَا أَمْ هُمْ قَوْمٌ طَاغُونَ)([7]) . والمعنى على إثبات أنهم طاغون([8]) .

وقد وردت في مواضع أخرى على هذا المعنى ، وهي قوله تعالى : (أَفَلا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ أَمْ عَلَى قُلُوبٍ أَقْفَالُهَا)([9]) ، وأم في هذه الآية بمعنى بل وهمزة التقرير للتسجيل عليهم بأن قلوبهم مقفلة لا يتوصل إليها ذكر([1]) .

([1]) القمر : ٤٣ .

([2]) المرجع نفسه والصفحة .

([3]) النجم : ٣٦-٣٨ .

([4]) المؤمنون : ٦٩ .

([5]) المرجع نفسه ص٩٠-٩١ .

([6]) الزخرف : ٥٢ .

([7]) الطور : ٣٢ .

([8]) المرجع نفسه ص٩١ .

([9]) محمد : ٢٤ .

وكذلك جاءت في قوله تعالى : (أَفَرَأَيْتُمْ مَا تُمْنُونَ أَأَنْتُمْ تَخْلُقُونَهُ أَمْ نَحْنُ الْخَالِقُونَ)([2]) وكذا قوله تعالى : (أَفَرَأَيْتُمْ مَا تَحْرُثُونَ أَأَنْتُمْ تَزْرَعُونَهُ أَمْ نَحْنُ الزَّارِعُونَ) ([3]) ، وقوله تعالى : (أَفَرَأَيْتُمُ الْمَاءَ الَّذِي تَشْرَبُونَ أَأَنْتُمْ أَنْزَلْتُمُوهُ مِنَ الْمُزْنِ أَمْ نَحْنُ الْمُنْزِلُونَ)([4]) ، وأيضاً قوله تعالى : (أَفَرَأَيْتُمُ النَّارَ الَّتِي تُورُونَ أَأَنْتُمْ أَنْشَأْتُمْ شَجَرَتَهَا أَمْ نَحْنُ الْمُنْشِئُونَ)([5]) .

وأبو حيان في هذه المواضع الأربعة جعل أم منقطعة على معنى بل والهمزة وهي لإثبات ما بعدها ، أي : نحن الخالقون ، ونحن الزارعون ، ونحن المنزلون ، ونحن المنشئون([6]) .

وتدخل أم على ما يدل على الاستفهام فتدخل على (من) وذلك كقوله تعالى : (أَمَّنْ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضَ وَأَنْزَلَ لَكُمْ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَنْبَتْنَا بِهِ حَدَائِقَ ذَاتَ بَهْجَةٍ مَا كَانَ لَكُمْ أَنْ تُنْبِتُوا شَجَرَهَا أَءِلَهٌ مَعَ اللَّهِ بَلْ هُمْ قَوْمٌ يَعْدِلُونَ) (أَمَّنْ جَعَلَ الأَرْضَ قَرَارًا..) ، (مَّنْ يُجِيبُ الْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ) (أَمَّنْ يَهْدِيكُمْ فِي ظُلُمَاتِ الْبَرِّ وَالْبَحْرِ..) (أَمَّنْ يَبْدَأُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ..)([7]) .

يقول الزمخشري في تفسير هذه الآيات (أم من خلق السموات والأرض) أم في هذه الآية منقطعة بمعنى بل والهمزة ، لما قال تعالى : آلله خير أم الآلهة ، قال بل أمن خلق السموات والأرض خير تقريراً لهم بأن من قدر على خلق العالم خير من جماد لا يقدر على شئ([8]) .

([1]) الكشاف ج٤ ص٣٢٨ .

([2]) الواقعة : ٥٨-٥٩ .

([3]) الواقعة : ٦٣-٦٤ .

([4]) الواقعة : ٦٨-٦٩ .

([5]) الواقعة : ٧١-٧٢ .

([6]) البحر المحيط ج٨ ص٢١٠ .

([7]) النمل : ٦٠-٦٤ .

([8]) الكشاف ج٣ ص٣٨٠ .

وهكذا في بقية الآيات ينتزع الله الإقرار من المشركين بأن يشاركه أحد في هذه الأفعال التي ينفرد بها وتوجب له الوحدانية لذا نجده سبحانه وتعالى يكرر قوله (أءِله مع الله) ليؤكد أنه هو سبحانه وتعالى القادر على كل شئ .

وتدخل أم على (ماذا) وذلك في قوله تعالى : (حَتَّى إِذَا جَاءُوا قَالَ أَكَذَّبْتُمْ بِآيَاتِي وَلَمْ تُحِيطُوا بِهَا عِلْمًا أَمْ مَاذَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ)([1]) .

وجاء في تفسير هذه الآية : (حَتَّى إِذَا جَاءُوا قَالَ أَكَذَّبْتُمْ بِآيَاتِي..) (استفهام توبيخ وتقريع وإهانة ، وأم هنا منقطعة ، وينبغي أن تقدر ببل وحدها ، انتقل من الاستفهام الذي يقتضي التوبيخ إلى الاستفهام عن عملهم أيضاً على جهة التوبيخ)([2]) .

وقد دخلت أم على (هل) وذلك في قوله تعالى : (قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الأَعْمَى وَالْبَصِيرُ أَمْ هَلْ تَسْتَوِي الظُّلُمَاتُ وَالنُّورُ)([3]) والاستفهام فيها للإنكار([4]) .

ومعنى أم الذي تفيده ولا تنفك عنه (الإضراب) وهو الانتقال من غرض إلى آخر ، وهي بمعنى بل التي تفيد الإضراب وهو في القرآن الإضراب الانتقالي من أسلوب إلى أسلوب ، ولا يراد بها الإبطالي ، لأنه لا يكون إلا إذا أخطأ المتكلم وسبق لسانه إلى غير ما يريد فيعدل عنه والمولى جل وعلا منزه عن ذلك([5]) .

المبحث الثالث

تحليل معاني (هل) في القرآن الكريم

إفادة (هل) التقرير :

([1]) النمل : ٨٤ .

([2]) البحر المحيط ج٧ ص٩٢ .

([3]) الرعد : ١٦ .

([4]) انظر البحر المحيط ج٥ ص٣٧٠ .

([5]) انظر جمال الدين بن هشام الأنصاري (مغني اللبيب عن كتب الأعاريب) ط٦ (١٩٨٥م) بتحقيق د. مازن المبارك ، محمد علي حمد الله – دار الفكر دمشق ج١ ص١٥٢ وأساليب الاستفهام في القرآن ص٩٥ .

ومن معاني (هل) التي تفيدها (التقرير) وهو بمعنى الإثبات ، وذلك في قوله تعالى : (هَلْ عَسَيْتُمْ إِنْ كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِتَالُ أَلا تُقَاتِلُوا)([1]) .

وجاء في تفسيرها ، وهي قول الله تعالى : (أَلَمْ تَرَ إِلَى الْمَلإِ مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ..) تقرير وتعجيب وله مزيد ارتباط بما وسط بينهما من الأمر بالقتال .. (قال هل عسيتم) ؛ أي : هل قاربتم أن لا تقاتلوا كما أتوقعه منكم ، والمراد تقرير أن المتوقع كائن([2]) .

ويقول الزمخشري في تفسيرها ، والمعنى : هل قاربتم أن لا تقاتلوا .. أراد أن يقول : عسيتم أن لا تقاتلوا ، بمعنى أتوقع جبنكم عن القتال ، فأدخل هل مستفهماً عما هو متوقع عنده ومظنون ، وأراد بالاستفهام التقرير وتثبيت أن المتوقع كائن([3]) .

ثم إنها وردت بنفس المعنى في قوله تعالى : (فَهَلْ عَسَيْتُمْ إِنْ تَوَلَّيْتُمْ أَنْ تُفْسِدُوا فِي الأَرْضِ وَتُقَطِّعُوا أَرْحَامَكُمْ)([4]) . وجاء في تفسيرها : (هل عسيتم) الخ بطريق الالتفات لتأكيد التوبيخ وتشديد التقريع ؛ أي : هل يتوقع منكم([5]) .

ومن معانيها ما يفيد التشويق إلى استماع ما بعدها من قصة أو خبر ، كقوله تعالى : (وَهَلْ أَتَاكَ نَبَأُ الْخَصْمِ إِذْ تَسَوَّرُوا الْمِحْرَابَ)([6]) وقوله تعالى : (هَلْ أَتَاكَ حَدِيثُ ضَيْفِ إِبْرَاهِيمَ الْمُكْرَمِينَ إِذْ دَخَلُوا عَلَيْهِ فَقَالُوا سَلامًا قَالَ سَلامٌ قَوْمٌ مُنْكَرُونَ)([7]) وقوله تعالى : (هَلْ أَتَاكَ حَدِيثُ مُوسَى إِذْ نَادَاهُ رَبُّهُ بِالْوَادِ الْمُقَدَّسِ طُوًى

([1]) البقرة : ٢٤٦ .

([2]) تفسير أبي السعود ج١ ص٢٣٩ .

([3]) الكشاف ج١ ص٢٦٣ .

([4]) محمد : ٢٢ .

([5]) تفسير أبي السعود ج٨ ص٩٨ .

([6]) ص : ٢١ .

([7]) الذاريات : ٢٤-٢٥ .

اذْهَبْ إِلَى فِرْعَوْنَ إِنَّهُ طَغَى)([1]) . وقوله تعالى : (هَلْ أَتَاكَ حَدِيثُ الْجُنُودِ فِرْعَوْنَ وَثَمُودَ)([2]) .

وجاء في تفسير البيضاوي : (وَهَلْ أَتَاكَ نَبَأُ الْخَصْمِ..) استفهام معناه التعجيب والتشويق إلى استماعه([3]) .

وكذلك ورد على هذا المعنى قوله تعالى : (قُلْ هَلْ نُنَبِّئُكُمْ بِالأَخْسَرِينَ أَعْمَالاً الَّذِينَ ضَلَّ سَعْيُهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَهُمْ يَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ يُحْسِنُونَ صُنْعًا)([4]) ، وقوله تعالى : (قُلْ هَلْ أُنَبِّئُكُمْ بِشَرٍّ مِنْ ذَلِكَ مَثُوبَةً عِنْدَ اللَّهِ مَنْ لَعَنَهُ اللَّهُ وَغَضِبَ عَلَيْهِ وَجَعَلَ مِنْهُمُ الْقِرَدَةَ وَالْخَنَازِيرَ وَعَبَدَ الطَّاغُوتَ أُولَئِكَ شَرٌّ مَكَانًا وَأَضَلُّ عَنْ سَوَاءِ السَّبِيلِ)([5]) وقوله تعالى : (هَلْ أُنَبِّئُكُمْ عَلَى مَنْ تَنَزَّلُ الشَّيَاطِينُ تَنَزَّلُ عَلَى كُلِّ أَفَّاكٍ أَثِيمٍ)([6]) .

وقد أفادت في هذه المواقع تنبيه المخاطبين إلى ما يأتي بعدها ، وبعث شوقهم إليه ، ولذا يعقبها ذكر المتحدث عنه وهو (الذين ضل سعيهم ، ومن لعنه الله ، وكل أفاك)([7]) .

كما أنها تفيد التشويق إلى أمر والترغيب فيه ، وذلك كما في قوله تعالى : (إِذْ تَمْشِي أُخْتُكَ فَتَقُولُ هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَى مَنْ يَكْفُلُهُ فَرَجَعْنَاكَ إِلَى أُمِّكَ كَيْ تَقَرَّ عَيْنُهَا وَلا تَحْزَنَ)([8]) ومنه قوله تعالى : (فَوَسْوَسَ إِلَيْهِ الشَّيْطَانُ قَالَ يَا آَدَمُ هَلْ أَدُلُّكَ عَلَى شَجَرَةِ الْخُلْدِ وَمُلْكٍ لا يَبْلَى)([9]) ، وقوله تعالى : (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آَمَنُوا هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَى

([1]) النازعات : ١٥-١٧ .

([2]) البروج : ١٧-١٨ .

([3]) تفسير البيضاوي ج٥ ص٤١ .

([4]) الكهف : ١٠٣-١٠٤ .

([5]) المائدة : ٦٠ .

([6]) الشعراء : ٢٢١-٢٢٢ .

([7]) أساليب الاستفهام في القرآن ص١٠٢ .

([8]) طه : ٤٠ .

([9]) طه : ١٢٠ .

تِجَارَةٍ تُنْجِيكُمْ مِنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَتُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ بِأَمْوَالِكُمْ وَأَنْفُسِكُمْ ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ)([1]) .

فالتالي للاستفهام أمر مرغوب فيه والنفس تشتاق إليه .

ومن معانيها كذلك أنها تفيد النفي مع التعريض ، ومنها قوله تعالى : (قُلْ لا أَقُولُ لَكُمْ عِنْدِي خَزَائِنُ اللَّهِ وَلا أَعْلَمُ الْغَيْبَ وَلا أَقُولُ لَكُمْ إِنِّي مَلَكٌ إِنْ أَتَّبِعُ إِلا مَا يُوحَى إِلَيَّ قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الأَعْمَى وَالْبَصِيرُ أَفَلا تَتَفَكَّرُونَ)([2]) وقوله تعالى : (أَمَّنْ هُوَ قَانِتٌ آَنَاءَ اللَّيْلِ سَاجِدًا وَقَائِمًا يَحْذَرُ الآَخِرَةَ وَيَرْجُو رَحْمَةَ رَبِّهِ قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لا يَعْلَمُونَ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُولُوا الأَلْبَابِ)([3]) ، إلى غير ذلك من الآيات التي وردت فيها بهذا المعنى الذي تفيد فيه نفي الاستواء بين شيئين أو أشياء مع التعريض([4]) .

وقد تفيد النفي مع التوبيخ والتهكم ، كقوله تعالى : (قَالَ هَلْ يَسْمَعُونَكُمْ إِذْ تَدْعُونَ أَوْ يَنْفَعُونَكُمْ أَوْ يَضُرُّونَ)([5]) وكذلك قوله تعالى : (وَقِيلَ لَهُمْ أَيْنَ مَا كُنْتُمْ تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ هَلْ يَنْصُرُونَكُمْ أَوْ يَنْتَصِرُونَ)([6]) .

كما أنها تفيد النفي مع التحدي ، وذلك مثل قوله تعالى : (قُلْ هَلْ مِنْ شُرَكَائِكُمْ مَنْ يَبْدَأُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ قُلِ اللَّهُ يَبْدَأُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ فَأَنَّى تُؤْفَكُونَ قُلْ هَلْ مِنْ شُرَكَائِكُمْ مَنْ يَهْدِي إِلَى الْحَقِّ قُلِ اللَّهُ يَهْدِي لِلْحَقِّ أَفَمَنْ يَهْدِي إِلَى الْحَقِّ أَحَقُّ أَنْ يُتَّبَعَ أَمَّنْ لا يَهِدِّي إِلا أَنْ يُهْدَى فَمَا لَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ)([7]) .

وعلى هذا المعنى قوله تعالى : (فَهَلْ تَرَى لَهُمْ مِنْ بَاقِيَةٍ)([8]) ، وقوله تعالى :

([1]) الصف : ١٠-١١ .

([2]) الأنعام : ٥٠ .

([3]) الزمر : ٩ .

([4]) انظر أساليب الاستفهام في القرآن ص١٠٣ .

([5]) الشعراء : ٧٢-٧٣ .

([6]) الشعراء : ٩٢-٩٣ .

([7]) يونس : ٣٤-٣٥ .

([8]) الحاقة : ٨ .

(الَّذِي خَلَقَ سَبْعَ سَمَوَاتٍ طِبَاقًا مَا تَرَى فِي خَلْقِ الرَّحْمَنِ مِنْ تَفَاوُتٍ فَارْجِعِ الْبَصَرَ هَلْ تَرَى مِنْ فُطُورٍ)([1]) .

وكثيراً ما تفيد هل النفي ، وقد يراد مع النفي الوعيد كما في قوله تعالى : (هَلْ يَنْظُرُونَ إِلا أَنْ تَأْتِيَهُمُ الْمَلائِكَةُ أَوْ يَأْتِيَ رَبُّكَ أَوْ يَأْتِيَ بَعْضُ آيَاتِ رَبِّكَ يَوْمَ يَأْتِي بَعْضُ آيَاتِ رَبِّكَ لا يَنْفَعُ نَفْسًا إِيمَانُهَا لَمْ تَكُنْ آمَنَتْ مِنْ قَبْلُ أَوْ كَسَبَتْ فِي إِيمَانِهَا خَيْرًا قُلِ انْتَظِرُوا إِنَّا مُنْتَظِرُونَ)([2]) . وقوله تعالى : (فَهَلْ يَنْتَظِرُونَ إِلا مِثْلَ أَيَّامِ الَّذِينَ خَلَوْا مِنْ قَبْلِهِمْ قُلْ فَانْتَظِرُوا إِنِّي مَعَكُمْ مِنَ الْمُنْتَظِرِينَ)([3]) .

ففي جميع أساليبها هذه أفادت مع النفي التهديد للكافرين بأن يحل بهم عذاب الله الذي يستحقونه([4]) .

إلى غير ذلك من معان تصاحب النفي كالتعيير والشماتة والعدالة وذلك في قوله تعالى : (وَمَنْ جَاءَ بِالسَّيِّئَةِ فَكُبَّتْ وُجُوهُهُمْ فِي النَّارِ هَلْ تُجْزَوْنَ إِلا مَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ)([5]) ، ومع النفي الإشفاق والعتاب كقوله تعالى : (قَالَ هَلْ آمَنُكُمْ عَلَيْهِ إِلا كَمَا أَمِنْتُكُمْ عَلَى أَخِيهِ مِنْ قَبْلُ فَاللَّهُ خَيْرٌ حَافِظًا وَهُوَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ)([6]) ، ويكون مع النفي التحقير كما في قوله تعالى : (لاهِيَةً قُلُوبُهُمْ وَأَسَرُّوا النَّجْوَى الَّذِينَ ظَلَمُوا هَلْ هَذَا إِلا بَشَرٌ مِثْلُكُمْ أَفَتَأْتُونَ السِّحْرَ وَأَنْتُمْ تُبْصِرُونَ)([7]) فإفادة هل النفي كثيراً وقد غلبت في هذا الجانب ولم يجارها فيه من أدوات الاستفهام سواها([8]) .

كذلك من المعاني التي تفيدها هل (الأمر) وتصاحبه معان أخرى كالتوبيخ وذلك مثل قوله تعالى : (إِنَّمَا يُرِيدُ الشَّيْطَانُ أَنْ يُوقِعَ بَيْنَكُمُ الْعَدَاوَةَ وَالْبَغْضَاءَ فِي

([1]) الملك : ٣ .

([2]) الأنعام : ١٥٨ .

([3]) يونس : ١٠٢ .

([4]) أساليب الاستفهام في القرآن ص١٠٤ .

([5]) النمل : ٩٠ .

([6]) يوسف : ٦٤ .

([7]) الأنبياء : ٣ .

([8]) انظر المرجع نفسه ص١١٢ .

الْخَمْرِ وَالْمَيْسِرِ وَيَصُدَّكُمْ عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ وَعَنِ الصَّلَاةِ فَهَلْ أَنْتُمْ مُنْتَهُونَ)([1]) ، وقد يكون الأمر بها على سبيل التعجيز مع التهكم كقوله تعالى : (وَإِذْ يَتَحَاجُّونَ فِي النَّارِ فَيَقُولُ الضُّعَفَاءُ لِلَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا إِنَّا كُنَّا لَكُمْ تَبَعًا فَهَلْ أَنْتُمْ مُغْنُونَ عَنَّا نَصِيبًا مِنَ النَّارِ)([2]) ، أي أغنوا عنا شيئاً من غناء ما دمتم قد كنتم سادتنا ودعاتنا إلى الكفر ، كما أن فيه إظهار التحسر من الضعفاء([3]) .

وقد يراد بها الأمر مع التحقيق كما في قوله تعالى : (وَلَقَدْ تَرَكْنَاهَا آيَةً فَهَلْ مِنْ مُدَّكِرٍ)([4]) وقوله تعالى : (وَلَقَدْ يَسَّرْنَا الْقُرْآنَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِنْ مُدَّكِرٍ)([5]) ، وقوله تعالى : (وَلَقَدْ أَهْلَكْنَا أَشْيَاعَكُمْ فَهَلْ مِنْ مُدَّكِرٍ)([6]) وقد تكررت (هل من مدكر) في هذه السورة وكلها أمر إلى الإدكار ، والإتعاظ ، والمراد ادكروا .

كذلك قوله تعالى : (فَإِنْ لَمْ يَسْتَجِيبُوا لَكُمْ فَاعْلَمُوا أَنَّمَا أُنْزِلَ بِعِلْمِ اللَّهِ وَأَنْ لا إِلَهَ إِلا هُوَ فَهَلْ أَنْتُمْ مُسْلِمُونَ)([7]) ، وكذا قوله تعالى : (وَعَلَّمْنَاهُ صَنْعَةَ لَبُوسٍ لَكُمْ لِتُحْصِنَكُمْ مِنْ بَأْسِكُمْ فَهَلْ أَنْتُمْ شَاكِرُونَ)([8]) ، وأيضاً قوله تعالى : (قَالَ هَلْ أَنْتُمْ مُطَّلِعُونَ)([9]) والمعنى في كل ذلك : انتهوا ، وادكروا ، وأسلموا ، واشكروا ، وأطلعوا([10]) .

كذلك من المعاني التي تفيدها هل التلطف في الطلب أو العرض كما في قوله تعالى : (اذْهَبْ إِلَى فِرْعَوْنَ إِنَّهُ طَغَى فَقُلْ هَلْ لَكَ إِلَى أَنْ تَزَكَّى وَأَهْدِيَكَ إِلَى رَبِّكَ فَتَخْشَى)([11]) كذلك قوله تعالى : (قَالَ لَهُ مُوسَى هَلْ أَتَّبِعُكَ عَلَى أَنْ تُعَلِّمَنِ

([1]) المائدة : ٩١ .

([2]) غافر : ٤٧ .

([3]) المرجع نفسه ص١٠٥ .

([4]) القمر : ١٥ .

([5]) القمر : ١٧ .

([6]) القمر : ٥١ .

([7]) هود : ١٤ .

([8]) الأنبياء : ٨٠ .

([9]) الصافات : ٥٤ .

([10]) المرجع نفسه ص١٠٥ .

([11]) النازعات : ١٧-١٩ .

مِمَّا عُلِّمْتَ رُشْدًا)([1]) ، وأيضاً قوله تعالى : (قَالُوا يَا ذَا الْقَرْنَيْنِ إِنَّ يَأْجُوجَ وَمَأْجُوجَ مُفْسِدُونَ فِي الأَرْضِ فَهَلْ نَجْعَلُ لَكَ خَرْجًا عَلَى أَنْ تَجْعَلَ بَيْنَنَا وَبَيْنَهُمْ سَدًّا)([2]) .

ففي آية النازعات تلطف في عرض الإيمان على فرعون ، وفي آيتي الكهف تلطف في طلب الإتباع وإقامة السد من المخاطب([3]) .

وكذلك من المعاني التي أفادتها هل (التمني) ويصاحبه التحسر كقوله تعالى: (هَلْ يَنْظُرُونَ إِلا تَأْوِيلَهُ يَوْمَ يَأْتِي تَأْوِيلُهُ يَقُولُ الَّذِينَ نَسُوهُ مِنْ قَبْلُ قَدْ جَاءَتْ رُسُلُ رَبِّنَا بِالْحَقِّ فَهَلْ لَنَا مِنْ شُفَعَاءَ فَيَشْفَعُوا لَنَا أَوْ نُرَدُّ فَنَعْمَلَ غَيْرَ الَّذِي كُنَّا نَعْمَلُ قَدْ خَسِرُوا أَنْفُسَهُمْ وَضَلَّ عَنْهُمْ مَا كَانُوا يَفْتَرُونَ)([4]) ، وكذلك قوله تعالى : (وَمَنْ يُضْلِلِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِنْ وَلِيٍّ مِنْ بَعْدِهِ وَتَرَى الظَّالِمِينَ لَمَّا رَأَوُا الْعَذَابَ يَقُولُونَ هَلْ إِلَى مَرَدٍّ مِنْ سَبِيلٍ)([5]) إلى غير ذلك من الآيات التي وردت فيها هل متضمنة معنى التمني وهي كثيرة([6]) .

وأيضاً من معاني هل ما أفاد التقرير بمعنى طلب الاعتراف بحقيقة ثابتة ، كقوله تعالى : (هَلْ أَتَى عَلَى الْإِنْسَانِ حِينٌ مِنَ الدَّهْرِ لَمْ يَكُنْ شَيْئًا مَذْكُورًا)([7]) وقوله تعالى : (هَلْ ثُوِّبَ الْكُفَّارُ مَا كَانُوا يَفْعَلُونَ)([8]) وكذلك قوله تعالى : (وَنَادَى أَصْحَابُ الْجَنَّةِ أَصْحَابَ النَّارِ أَنْ قَدْ وَجَدْنَا مَا وَعَدَنَا رَبُّنَا حَقًّا فَهَلْ وَجَدْتُمْ مَا وَعَدَ رَبُّكُمْ حَقًّا قَالُوا نَعَمْ فَأَذَّنَ مُؤَذِّنٌ بَيْنَهُمْ أَنْ لَعْنَةُ اللَّهِ عَلَى الظَّالِمِينَ)([9]) وأيضاً قوله تعالى : (هَلْ فِي ذَلِكَ قَسَمٌ لِذِي حِجْرٍ)([10]) .

([1]) الكهف : ٦٦ .

([2]) الكهف : ٩٤ .

([3]) المرجع نفسه ص١٠٦ .

([4]) الأعراف : ٥٣ .

([5]) الشورى : ٤٤ .

([6]) انظر أساليب الاستفهام في القرآن ص١٠٦-١٠٧ .

([7]) الإنسان : ١ .

([8]) المطففين : ٣٦ .

([9]) الأعراف : ٤٤ .

([10]) الفجر : ٥ .

فجميع الآيات تلك تتكلم عن حقائق ثابتة قد وقعت ، والمراد بالاستفهام عنها طلب الاعتراف بها والإذعان لها([1]) .

ونافلة القول في هذا الجانب أن هل تدل على الاستفهام بالأصالة لا بتضمن دخول الهمزة عليها ، وقد تكون بمعنى قد ، وقد لا تكون بمعنى قد ، فإذا كانت بمعنى قد فذلك من باب التأكيد ، كما أن هل من أكثر أدوات الاستفهام بعد الهمزة دلالة على المعاني الخارجة عن معنى الاستفهام الأصلي([2]) .

المبحث الرابع

([1]) انظر المرجع نفسه ص١٠٧ .

([2]) انظر المرجع نفسه ص١٠٧-١١٢ .

تحليل معاني بقية أدوات الاستفهام

المطلب الأول : تحليل معنى (من) :

فمن معاني (من) التي كثرت أساليبها فيها (التقرير) بمعنى طلب الاعتراف مع إفادة التعظيم ، وفي هذه الأساليب يليها فعل عظيم باهر في عظمته ، وفاعله متعين لا يجحد ، وذلك كقوله تعالى : (وَلَئِنْ سَأَلْتَهُمْ مَنْ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضَ وَسَخَّرَ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ فَأَنَّى يُؤْفَكُونَ)(١) ، وقوله تعالى : (وَلَئِنْ سَأَلْتَهُمْ مَنْ نَزَّلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَحْيَا بِهِ الأَرْضَ مِنْ بَعْدِ مَوْتِهَا لَيَقُولُنَّ اللَّهُ قُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لا يَعْقِلُونَ)(٢) كذلك قوله تعالى : (قُلْ مَنْ يُنَجِّيكُمْ مِنْ ظُلُمَاتِ الْبَرِّ وَالْبَحْرِ تَدْعُونَهُ تَضَرُّعًا وَخُفْيَةً لَئِنْ أَنْجَانَا مِنْ هَذِهِ لَنَكُونَنَّ مِنَ الشَّاكِرِينَ قُلِ اللَّهُ يُنَجِّيكُمْ مِنْهَا وَمِنْ كُلِّ كَرْبٍ ثُمَّ أَنْتُمْ تُشْرِكُونَ)(٣) ، وأيضاً قوله تعالى : (قُلْ مَنْ يَرْزُقُكُمْ مِنَ السَّمَاءِ وَالأَرْضِ أَمَّنْ يَمْلِكُ السَّمْعَ وَالأَبْصَارَ وَمَنْ يُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ وَيُخْرِجُ الْمَيِّتَ مِنَ الْحَيِّ وَمَنْ يُدَبِّرُ الأَمْرَ فَسَيَقُولُونَ اللَّهُ فَقُلْ أَفَلا تَتَّقُونَ، فَذَلِكُمُ اللَّهُ رَبُّكُمُ الْحَقُّ فَمَاذَا بَعْدَ الْحَقِّ إِلا الضَّلالُ فَأَنَّى تُصْرَفُونَ)(٤) . إلى غير ذلك من الآيات التي يذكر فيها الفاعل المراد تعظيمه ، والذي لا يشك أحد في نسبة فعله إليه ، ومطلوب من المخاطبين ، أو إلى من وجه إليهم السؤال ، الاعتراف والإقرار بأنه هو وحده سبحانه وتعالى القادر على فعل هذه الأشياء ، لذلك نجد في هذه الأساليب يعين الفاعل(٥) .

كذلك من معانيها ما يراد به إنكار الواقع ، وذلك أن ينكر على الفاعل لقبح فعله والتشنيع عليه ، كما في قوله تعالى : (قُلْ مَنْ حَرَّمَ زِينَةَ اللَّهِ الَّتِي أَخْرَجَ لِعِبَادِهِ وَالطَّيِّبَاتِ مِنَ الرِّزْقِ قُلْ هِيَ لِلَّذِينَ آمَنُوا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا خَالِصَةً يَوْمَ الْقِيَامَةِ كَذَلِكَ

---

(١) العنكبوت : ٦١ .

(٢) العنكبوت : ٦٣ .

(٣) الأنعام : ٦٢-٦٣ .

(٤) يونس : ٣١-٣٢ .

(٥) انظر أساليب الاستفهام في القرآن ص١١٣-١١٤ .

نُفَصِّلُ الآيَاتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ)([1]) وقوله تعالى : (قَالُوا مَنْ فَعَلَ هَذَا بِآلِهَتِنَا إِنَّهُ لَمِنَ الظَّالِمِينَ)([2]) وذكروا ذلك واستفهموا عن الفاعل على طريقة الإنكار والتوبيخ والتشنيع([3]) .

أيضاً ينكر بها الفعل التالي لها ويتعجب من فاعله ، كقوله تعالى : (وَإِذْ أَسَرَّ النَّبِيُّ إِلَى بَعْضِ أَزْوَاجِهِ حَدِيثًا فَلَمَّا نَبَّأَتْ بِهِ وَأَظْهَرَهُ اللَّهُ عَلَيْهِ عَرَّفَ بَعْضَهُ وَأَعْرَضَ عَنْ بَعْضٍ فَلَمَّا نَبَّأَهَا بِهِ قَالَتْ مَنْ أَنْبَأَكَ هَذَا قَالَ نَبَّأَنِيَ الْعَلِيمُ الْخَبِيرُ)([4]) .

وقد يكون مع الإنكار الدهشة والفزع كقوله تعالى : (وَنُفِخَ فِي الصُّورِ فَإِذَا هُمْ مِنَ الأَجْدَاثِ إِلَى رَبِّهِمْ يَنْسِلُونَ قَالُوا يَا وَيْلَنَا مَنْ بَعَثَنَا مِنْ مَرْقَدِنَا هَذَا مَا وَعَدَ الرَّحْمَنُ وَصَدَقَ الْمُرْسَلُونَ)([5]) .

ومن معانيها ما يفيد النفي والتحدي والتعجيز ، وذلك في إنكار وجود الفاعل ، لأن الفعل الذي اسند إليه لا يمكن أن يقع إذ لا يكون في استطاعة أحد ، كقوله تعالى : (سَيَقُولُ لَكَ الْمُخَلَّفُونَ مِنَ الأَعْرَابِ شَغَلَتْنَا أَمْوَالُنَا وَأَهْلُونَا فَاسْتَغْفِرْ لَنَا يَقُولُونَ بِأَلْسِنَتِهِمْ مَا لَيْسَ فِي قُلُوبِهِمْ قُلْ فَمَنْ يَمْلِكُ لَكُمْ مِنَ اللَّهِ شَيْئًا إِنْ أَرَادَ بِكُمْ ضَرًّا أَوْ أَرَادَ بِكُمْ نَفْعًا بَلْ كَانَ اللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا)([6]) ، وقوله تعالى : (هَا أَنْتُمْ هَؤُلَاءِ جَادَلْتُمْ عَنْهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا فَمَنْ يُجَادِلُ اللَّهَ عَنْهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَمْ مَنْ يَكُونُ عَلَيْهِمْ وَكِيلا)([7]) ، وكذلك قوله تعالى : (يَا قَوْمِ لَكُمُ الْمُلْكُ الْيَوْمَ ظَاهِرِينَ فِي الأَرْضِ فَمَنْ يَنْصُرُنَا مِنْ بَأْسِ اللَّهِ إِنْ جَاءَنَا قَالَ فِرْعَوْنُ مَا أُرِيكُمْ إِلا مَا أَرَى وَمَا أَهْدِيكُمْ إِلا سَبِيلَ الرَّشَادِ)([8]) .

([1]) الأعراف : ٣٢ .

([2]) الأنبياء : ٥٩ .

([3]) تفسير أبي السعود ج٧ ص٧٤ .

([4]) التحريم : ٣ .

([5]) يس : ٥١-٥٢ ، وانظر أساليب الاستفهام في القرآن ص١١٥ .

([6]) الفتح : ١١ .

([7]) النساء : ١٠٩ .

([8]) غافر : ٢٩ .

والمعنى لا أحد يملك لكم شيئاً ، ولا أحد يجادل الله عنهم ، ولا أحد ينصرنا([1]) .

كذلك قد يصاحب الإنكار السخرية والتكذيب ، كما في قوله تعالى : (قُلْ كُونُوا حِجَارَةً أَوْ حَدِيدًا أَوْ خَلْقًا مِمَّا يَكْبُرُ فِي صُدُورِكُمْ فَسَيَقُولُونَ مَنْ يُعِيدُنَا قُلِ الَّذِي فَطَرَكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ فَسَيُنْغِضُونَ إِلَيْكَ رُءُوسَهُمْ وَيَقُولُونَ مَتَى هُوَ قُلْ عَسَى أَنْ يَكُونَ قَرِيبًا)([2]) أنكروا الإعادة ولم يؤمنوا بالمعيد ، وسخروا ممن يؤمن بذلك([3]). ومثله قوله تعالى : (وَضَرَبَ لَنَا مَثَلاً وَنَسِيَ خَلْقَهُ قَالَ مَنْ يُحْيِي الْعِظَامَ وَهِيَ رَمِيمٌ قُلْ يُحْيِيهَا الَّذِي أَنْشَأَهَا أَوَّلَ مَرَّةٍ وَهُوَ بِكُلِّ خَلْقٍ عَلِيمٌ)([4]) .

إذ أنكر المشار إليه في الآية إحياء الأموات وبعثهم خلقاً جديداً بعدما بليت عظامهم ، لذلك جاءت الإجابة في الآية التالية ، وهي أن الذي أنشأ الخلق من العدم قادر على إعادته .

وتفيد (من) النفي وذلك في أساليب القصر (بإلا) وهو طريق النفي والاستثناء وقد تفيد مع ذلك التعظيم كقوله تعالى : (وَالَّذِينَ إِذَا فَعَلُوا فَاحِشَةً أَوْ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ ذَكَرُوا اللَّهَ فَاسْتَغْفَرُوا لِذُنُوبِهِمْ وَمَنْ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ إِلا اللَّهُ وَلَمْ يُصِرُّوا عَلَى مَا فَعَلُوا وَهُمْ يَعْلَمُونَ)([5]) . وقد يكون مع ذلك التوبيخ كقوله تعالى : (وَمَنْ يَرْغَبُ عَنْ مِلَّةِ إِبْرَاهِيمَ إِلا مَنْ سَفِهَ نَفْسَهُ وَلَقَدِ اصْطَفَيْنَاهُ فِي الدُّنْيَا وَإِنَّهُ فِي الآخِرَةِ لَمِنَ الصَّالِحِينَ)([6]) وكذا قوله تعالى : (قَالَ وَمَنْ يَقْنَطُ مِنْ رَحْمَةِ رَبِّهِ إِلا الضَّالُّونَ)([7]) .

ويقول أبو حيان في تفسير آية البقرة ((وَمَنْ يَرْغَبُ عَنْ مِلَّةِ إِبْرَاهِيمَ إِلا مَنْ سَفِهَ نَفْسَهُ) ومن اسم استفهام في موضع رفع على الابتداء وهو استفهام معناه

([1]) أساليب الاستفهام في القرآن ص١١٦ .

([2]) الإسراء : ٥٠-٥١ .

([3]) المرجع نفسه والصفحة .

([4]) يس : ٧٨-٧٩ .

([5]) آل عمران : ١٣٥ .

([6]) البقرة : ١٣٠ .

([7]) الحجر : ٥٦ .

الإنكار ولذلك دخلت إلا بعده والمعنى لا أحد يرغب فمعناه النفي العام)([1]) ، وكذا قوله في تفسير آية الحجر : ((ومن يقنط..) وهو استفهام في ضمنه النفي ولذلك دخلت إلا في قوله (إلا الضالون))([2]) .

وأيضاً (من) تفيد النفي ، وذلك حين تليها أفعل التفضيل ، وهي تفيد مع النفي إنكار الفعل الذي ذكر في حيزها مع تقبيحه وتوبيخ فاعله ، وذلك في أساليب (من أظلم) ومنها قوله تعالى : (فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ كَذِبًا أَوْ كَذَّبَ بِآيَاتِهِ إِنَّهُ لا يُفْلِحُ الْمُجْرِمُونَ)([3]) وقوله تعالى : (فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ كَذَبَ عَلَى اللَّهِ وَكَذَّبَ بِالصِّدْقِ إِذْ جَاءَهُ أَلَيْسَ فِي جَهَنَّمَ مَثْوًى لِلْكَافِرِينَ)([4]) وقوله تعالى : (وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ ذُكِّرَ بِآيَاتِ رَبِّهِ ثُمَّ أَعْرَضَ عَنْهَا إِنَّا مِنَ الْمُجْرِمِينَ مُنْتَقِمُونَ)([5]) .

وهي كذلك بنفس المعنى في أساليب (من أضل) وذلك في قوله تعالى : (قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ كَانَ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ ثُمَّ كَفَرْتُمْ بِهِ مَنْ أَضَلُّ مِمَّنْ هُوَ فِي شِقَاقٍ بَعِيدٍ)([6]) وقوله تعالى : (وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّنْ يَدْعُو مِنْ دُونِ اللَّهِ مَنْ لَا يَسْتَجِيبُ لَهُ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ وَهُمْ عَنْ دُعَائِهِمْ غَافِلُونَ)([7]) وقوله تعالى : (فَإِنْ لَمْ يَسْتَجِيبُوا لَكَ فَاعْلَمْ أَنَّمَا يَتَّبِعُونَ أَهْوَاءَهُمْ وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّنَ اتَّبَعَ هَوَاهُ بِغَيْرِ هُدًى مِنَ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ لا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ)([8]) .

كذلك تفيد مع النفي التعظيم ، وذلك في أساليب (من أحسن ، ومن أصدق ، ومن أوفى) نحو قوله تعالى : (وَمَنْ أَحْسَنُ دِينًا مِمَّنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُ لِلَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ وَاتَّبَعَ مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا وَاتَّخَذَ اللَّهُ إِبْرَاهِيمَ خَلِيلا)([9]) ، وقوله تعالى : (اللَّهُ لا إِلَهَ إِلا

([1]) البحر المحيط ج١ ص٥٦٤ .

([2]) المرجع نفسه ج٥ ص٤٤٧ .

([3]) يونس : ١٧ .

([4]) الزمر : ٣٢ .

([5]) السجدة : ٢٢ .

([6]) فصلت : ٥٢ .

([7]) الأحقاف : ٥ .

([8]) القصص : ٥٠ .

([9]) النساء : ١٢٥ .

هُوَ لَيَجْمَعَنَّكُمْ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ لا رَيْبَ فِيهِ وَمَنْ أَصْدَقُ مِنَ اللَّهِ حَدِيثًا)([1]) وقوله تعالى : (إِنَّ اللَّهَ اشْتَرَى مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنْفُسَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ بِأَنَّ لَهُمُ الْجَنَّةَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَيَقْتُلُونَ وَيُقْتَلُونَ وَعْدًا عَلَيْهِ حَقًّا فِي التَّوْرَاةِ وَالإِنْجِيلِ وَالْقُرْآنِ وَمَنْ أَوْفَى بِعَهْدِهِ مِنَ اللَّهِ فَاسْتَبْشِرُوا بِبَيْعِكُمُ الَّذِي بَايَعْتُمْ بِهِ وَذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ)([2]) .

كما أنها تفيد مع النفي الافتخار وذلك في قوله تعالى : (فَأَمَّا عَادٌ فَاسْتَكْبَرُوا فِي الأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَقَالُوا مَنْ أَشَدُّ مِنَّا قُوَّةً أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّ اللَّهَ الَّذِي خَلَقَهُمْ هُوَ أَشَدُّ مِنْهُمْ قُوَّةً وَكَانُوا بِآيَاتِنَا يَجْحَدُونَ)([3]) .

وأفعل التفضيل في كل هذه الأساليب ليس على بابه بل يراد به مجرد الوصف .

ويقول أبو السعود([4]) في تفسير آية سورة النساء : ((ومن أحسن ديناً ممن أسلم وجهه لله ..) وهذا إنكار واستبعاد لأن يكون أحد أحسن ديناً ممن فعل ذلك أو مساوياً له ، وإن لم يكن سبك التركيب متعرضاً لإنكار المساواة ونفيها يرشدك إليه العرف المطرد ، والاستعمال الفاشي ، فإنه إذا قيل : من أكرم من فلان ، أو لا أفضل من فلان ، فالمراد به حتماً أنه أكرم من كل كريم ، وأفضل من كل فاضل ، وعليه مساق قوله تعالى : (ومن أظلم ممن افترى) ونظائره ..)([5]) .

كذلك من معانيها أنها تفيد التعظيم والحث ، وذلك حين يتلوها اسم إشارة ، أو اسم إشارة بعده اسم الموصول (الذي) وخاصة إذا كان فعل الصلة مطلوباً ويمكن تحققه ، وهذا كقوله تعالى : (مَنْ ذَا الَّذِي يُقْرِضُ اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا فَيُضَاعِفَهُ لَهُ أَضْعَافًا كَثِيرَةً وَاللَّهُ يَقْبِضُ وَيَبْسُطُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ)([6]) .

([1]) النساء : ٨٧ .

([2]) التوبة : ١١١ .

([3]) فصلت : ١٥ .

([4]) أبو السعود : محمد بن محمد العمادي أبي السعود الفارسي (٢٤٢-٥٦٠هـ) (فهرس الفهارس والأثبات ، ومعجم المعاجم والمسلسلات ، ج٣ ص٢٧٥) .

([5]) تفسير أبي السعود ج٢ ص٢٣٦ ، وانظر أساليب الاستفهام في القرآن ص١١٧-١١٩ .

([6]) البقرة : ٢٤٥ .

أما إذا كان فعل الصلة لا يمكن تحققه فإن الاستفهام حينئذ يكون لإنكار وقوعه ونفي تحققه ، وذلك مثل قوله تعالى : (قُلْ مَنْ ذَا الَّذِي يَعْصِمُكُمْ مِنَ اللَّهِ إِنْ أَرَادَ بِكُمْ سُوءًا أَوْ أَرَادَ بِكُمْ رَحْمَةً وَلا يَجِدُونَ لَهُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَلِيًّا وَلا نَصِيرًا)([1]) ، وقوله تعالى : (اللَّهُ لا إِلَهَ إِلا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ لا تَأْخُذُهُ سِنَةٌ وَلا نَوْمٌ لَهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الأَرْضِ مَنْ ذَا الَّذِي يَشْفَعُ عِنْدَهُ إِلا بِإِذْنِهِ يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَلا يُحِيطُونَ بِشَيْءٍ مِنْ عِلْمِهِ إِلا بِمَا شَاءَ وَسِعَ كُرْسِيُّهُ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضَ وَلا يَئُودُهُ حِفْظُهُمَا وَهُوَ الْعَلِيُّ الْعَظِيمُ)([2]) ، وقوله تعالى : (إِنْ يَنْصُرْكُمُ اللَّهُ فَلا غَالِبَ لَكُمْ وَإِنْ يَخْذُلْكُمْ فَمَنْ ذَا الَّذِي يَنْصُرُكُمْ مِنْ بَعْدِهِ وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ)([3]) . فالمراد إنكار العصمة والعاصم ، والشفاعة والشافع ، والنصرة والناصر([4]) .

ويقول أبو السعود في تفسير آية آل عمران : ((فمن ذا الذي ينصركم..) استفهام إنكاري مفيد لانتفاء الناصر ذاتاً وصفة بطريق المبالغة)([5]) .

كذلك تفيد الإنكار مع نفي وقوع الفعل الذي في حيزها ، وذلك حين يتلوها اسم الإشارة هذا متلواً باسم الموصول الذي ، كقوله تعالى : (أَمَّنْ هَذَا الَّذِي هُوَ جُنْدٌ لَكُمْ يَنْصُرُكُمْ مِنْ دُونِ الرَّحْمَنِ إِنِ الْكَافِرُونَ إِلا فِي غُرُورٍ)([6]) ، وقوله تعالى: (أَمَّنْ هَذَا الَّذِي يَرْزُقُكُمْ إِنْ أَمْسَكَ رِزْقَهُ بَلْ لَجُّوا فِي عُتُوٍّ وَنُفُورٍ)([7]) . ويقول القرطبي : ((أم من هذا الذي هو جند لكم) وهو استفهام إنكار ، أي : لا جند لكم يدفع عنكم عذاب الله)([8]) .

المطلب الثاني : تحليل معاني (ما)

([1]) الأحزاب : ١٧ .

([2]) البقرة : ٢٥٥ .

([3]) آل عمران : ١٦٠ .

([4]) المرجع نفسه ص١١٩-١٢٠ .

([5]) تفسير أبي السعود ج٢ ص١٠٦ .

([6]) الملك : ٢٠ .

([7]) الملك : ٢١ .

([8]) تفسير القرطبي ج١٨ ص٢١٨ .

وردت كثيراً في القرآن الكريم وتعد من أكثر أدوات الاستفهام وروداً من بعد الهمزة ، ويراد بها الاستفهام الحقيقي ، كقوله تعالى : (أَمْ كُنْتُمْ شُهَدَاءَ إِذْ حَضَرَ يَعْقُوبَ الْمَوْتُ إِذْ قَالَ لِبَنِيهِ مَا تَعْبُدُونَ مِنْ بَعْدِي قَالُوا نَعْبُدُ إِلَهَكَ وَإِلَهَ آبَائِكَ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ إِلَهًا وَاحِدًا وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ)([1]) ، وكذا قوله تعالى : (قَالَ فَمَا خَطْبُكُمْ أَيُّهَا الْمُرْسَلُونَ قَالُوا إِنَّا أُرْسِلْنَا إِلَى قَوْمٍ مُجْرِمِينَ)([2]) وأيضاً قوله تعالى : (قَالَ فَمَا بَالُ الْقُرُونِ الأُولَى قَالَ عِلْمُهَا عِنْدَ رَبِّي فِي كِتَابٍ لا يَضِلُّ رَبِّي وَلا يَنْسَى)([3]) .

ويقول البيضاوي في تفسير آية البقرة : (إِذْ حَضَرَ يَعْقُوبَ الْمَوْتُ إِذْ قَالَ لِبَنِيهِ مَا تَعْبُدُونَ مِنْ بَعْدِي ..) و(ما) يسأل به عن كل شئ ما لم يعرف فإذا عرف خص العقلاء (بمن) إذا سئل عن تعيينه ، وإن سئل عن وصفه قيل : ما زيد أفقيه أم طبيب)([4]) .

ونلاحظ من خلال الآيات السابقة أن الدليل على أن (ما) للاستفهام الحقيقي هو أن الإجابة تأتي عند المسئول عنه مباشرة ، فالمسئول عنه يعين أي : أنه يذكر بعينه([5]) .

وحيث تسبقها لام التعليل يكون المراد بها إنكار علة الفعل الواقع بعدها ، بقصد إنكار الفعل نفسه ، وتصحب الإنكار معان أخرى مثل التقبيح ، والتعجيب ، والتوبيخ ، من ذلك قوله تعالى : (الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ عَهِدَ إِلَيْنَا أَلا نُؤْمِنَ لِرَسُولٍ حَتَّى يَأْتِيَنَا بِقُرْبَانٍ تَأْكُلُهُ النَّارُ قُلْ قَدْ جَاءَكُمْ رُسُلٌ مِنْ قَبْلِي بِالْبَيِّنَاتِ وَبِالَّذِي قُلْتُمْ فَلِمَ قَتَلْتُمُوهُمْ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ)([6]) ، وقوله تعالى : (يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لِمَ تَكْفُرُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَأَنْتُمْ تَشْهَدُونَ ، يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لِمَ تَلْبِسُونَ الْحَقَّ بِالْبَاطِلِ وَتَكْتُمُونَ الْحَقَّ وَأَنْتُمْ

([1]) البقرة : ١٣٣ .

([2]) الذاريات : ٣١-٣٢ .

([3]) طه : ٥١-٥٢ .

([4]) تفسير البيضاوي ج١ ص٤٠٧ .

([5]) انظر أساليب الاستفهام في القرآن ص١٢٣ .

([6]) آل عمران : ١٨٣ .

تَعْلَمُونَ)([1]) ، وقوله تعالى : (قَالَ يَا قَوْمِ لِمَ تَسْتَعْجِلُونَ بِالسَّيِّئَةِ قَبْلَ الْحَسَنَةِ لَوْلا تَسْتَغْفِرُونَ اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ)([2]) .

أنكر أن يكون للقتل ، وللكفر ، ولإلباس الحق بالباطل ، وكتمان الحق ، وللاستعجال علة معقولة ، وأفاد الاستفهام تقبيح تلك الأفعال وتوبيخ مرتكبيها([3]) .

وقد تفيد مع الإنكار التعجيب والعتاب ، كقوله تعالى : (عَفَا اللَّهُ عَنْكَ لِمَ أَذِنْتَ لَهُمْ حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَكَ الَّذِينَ صَدَقُوا وَتَعْلَمَ الْكَاذِبِينَ)([4]) وقوله تعالى : (يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ لِمَ تُحَرِّمُ مَا أَحَلَّ اللَّهُ لَكَ تَبْتَغِي مَرْضَاةَ أَزْوَاجِكَ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ)([5]) .

وظاهر كلام أبي حيان في تفسير آية التوبة أن المقصود من الاستفهام فيها العتاب([6]) كما يقول أبو حيان في تفسير آية التحريم (لم تحرم..) سؤال تلطف ولذلك قدم قبله (يا أيها النبي) بالنداء الذي يدل على التشريف والتنبيه بالصفة على عصمته مما يقع فيه من ليس بمعصوم([7]) .

والإنكار من المعاني التي كثر مجئ (ما) إليها ، وتصحبه معان أخرى مثل التعجب والحسرة كقوله تعالى : (وَقَالُوا لِجُلُودِهِمْ لِمَ شَهِدْتُمْ عَلَيْنَا قَالُوا أَنْطَقَنَا اللَّهُ الَّذِي أَنْطَقَ كُلَّ شَيْءٍ وَهُوَ خَلَقَكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ)([8]) . ويكون مع التعجب الإشفاق كقوله تعالى : (وَقَالُوا رَبَّنَا لِمَ كَتَبْتَ عَلَيْنَا الْقِتَالَ لَوْلا أَخَّرْتَنَا إِلَى أَجَلٍ قَرِيبٍ قُلْ مَتَاعُ الدُّنْيَا قَلِيلٌ وَالآخِرَةُ خَيْرٌ لِمَنِ اتَّقَى وَلا تُظْلَمُونَ فَتِيلاً)([9]) .

وتكون لإنكار الواقع ويراد بها إنكار فعل ما كان يصح أن يقع مع التعجب والتوبيخ كقوله تعالى : (سَيَقُولُ السُّفَهَاءُ مِنَ النَّاسِ مَا وَلاهُمْ عَنْ قِبْلَتِهِمُ الَّتِي كَانُوا

([1]) آل عمران : ٧٠-٧١ .

([2]) النمل : ٤٦ .

([3]) المرجع نفسه ص١٢٤ .

([4]) التوبة : ٤٣ .

([5]) التحريم : ١ .

([6]) انظر البحر المحيط ج٥ ص٤٨-٤٩ .

([7]) المرجع نفسه ج٨ ص٢٨٤ .

([8]) فصلت : ٢١ .

([9]) النساء : ٧٧ .

عَلَيْهَا قُلْ لِلَّهِ الْمَشْرِقُ وَالْمَغْرِبُ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ)([1]) . أنكر السفهاء تولي المسلمين عن قبلتهم بإنكار أن يكون له مبرر مقبول أو سبب معقول([2]) . وعلى هذا المعنى قوله تعالى : (يَا أَيُّهَا الْإِنْسَانُ مَا غَرَّكَ بِرَبِّكَ الْكَرِيمِ)([3]) ، وقوله تعالى : (فَمَا يُكَذِّبُكَ بَعْدُ بِالدِّينِ)([4]) ، وكذا قوله تعالى : (قَالَ يَا إِبْلِيسُ مَا مَنَعَكَ أَنْ تَسْجُدَ لِمَا خَلَقْتُ بِيَدَيَّ أَسْتَكْبَرْتَ أَمْ كُنْتَ مِنَ الْعَالِينَ)([5]) ، وأيضاً قوله تعالى : (قَالَ مَا مَنَعَكَ أَلا تَسْجُدَ إِذْ أَمَرْتُكَ قَالَ أَنَا خَيْرٌ مِنْهُ خَلَقْتَنِي مِنْ نَارٍ وَخَلَقْتَهُ مِنْ طِينٍ)([6]) ، وكذا قوله تعالى : (قَالَ يَا هَارُونُ مَا مَنَعَكَ إِذْ رَأَيْتَهُمْ ضَلُّوا أَلا تَتَّبِعَنِ أَفَعَصَيْتَ أَمْرِي)([7]) .

ويقول أبو السعود في تفسير سورة (ص) : (وأم والتثنية لإبراز كمال الاعتناء بخلقه عليه الصلاة والسلام المستدعي لإجلاله وإعظامه قصد إلى تأكيد الإنكار وتشديد التوبيخ (أستكبرت) بهمزة الإنكار)([8]) .

ويقول كذلك في تفسير آية (الأعراف) : (لا زائدة معناها ما منعك أن تسجد وهو سؤال التوبيخ والتعنيف)([9]) .

وأيضاً يقول في تفسير آية (طه) : (ألا تتبعن ، أي أن تتبعن ، فلا فيها زائدة مؤكدة لمعنى الفعل الذي دخلت عليه ، والهمزة في (أفعصيت أمري) للإنكار التوبيخي والفاء للعطف على مقدر يقتضيه المقام ، أي : ألم تتبعني أو أخالفتني فعصيت أمري)([10]) .

([1]) البقرة : ١٤٢ .

([2]) أساليب الاستفهام في القرآن ص١٢٤-١٢٥ .

([3]) الانفطار : ٦ .

([4]) التين : ٧ .

([5]) ص : ٧٥ .

([6]) الأعراف : ١٢ .

([7]) طه : ٩٢-٩٣ .

([8]) تفسير أبي السعود ج٧ ص٢٣٦ .

([9]) المرجع نفسه ج١ ص٣٨٨ .

([10]) المرجع نفسه ج٦ ص٣٧-٣٨ .

وكثيراً ما تأتي (ما) في القرآن الكريم وتفيد الإنكار وكثيراً ما تصحب هذا المعنى الأصلي الذي وضعت له ، معان أخرى ، مثل : العتاب ، والاستعجال ، والتكذيب والسخرية ، والتحقير ، والتوبيخ ، والتعجب والتجاهل ، إلى غير ذلك من المعاني المستفادة من سياق الآيات الكريمة ، والتي تدل دلالة واضحة على ثراء ما تفيده (ما) من معان)([1]) .

وكذلك من المعاني التي تفيدها (ما) الاستفهامية (النفي) وتصحب هذا المعنى معان أخرى مثل التوبيخ ، كقوله تعالى : (وَمَاذَا عَلَيْهِمْ لَوْ آَمَنُوا بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الآَخِرِ وَأَنْفَقُوا مِمَّا رَزَقَهُمُ اللَّهُ وَكَانَ اللَّهُ بِهِمْ عَلِيمًا)([2]) ؛ والمعنى : لا شئ عليهم في ذلك . وقد يكون مع النفي التوبيخ والتعريض كقوله تعالى : (فَذَلِكُمُ اللَّهُ رَبُّكُمُ الْحَقُّ فَمَاذَا بَعْدَ الْحَقِّ إِلا الضَّلالُ فَأَنَّى تُصْرَفُونَ)([3]) . يعرض بمعبوداتهم ويوبخهم على سلوك طريق غير الحق([4]) .

وعليه قوله تعالى : (مَا يَفْعَلُ اللَّهُ بِعَذَابِكُمْ إِنْ شَكَرْتُمْ وَآَمَنْتُمْ وَكَانَ اللَّهُ شَاكِرًا عَلِيمًا)([5]) ، وكذا قوله تعالى : (اللَّهُ الَّذِي أَنْزَلَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ وَالْمِيزَانَ وَمَا يُدْرِيكَ لَعَلَّ السَّاعَةَ قَرِيبٌ)([6]) ، وأيضاً قوله تعالى : (يَسْأَلُكَ النَّاسُ عَنِ السَّاعَةِ قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِنْدَ اللَّهِ وَمَا يُدْرِيكَ لَعَلَّ السَّاعَةَ تَكُونُ قَرِيبًا)([7]) ، كذلك قوله تعالى : (وَمَا يُدْرِيكَ لَعَلَّهُ يَزَّكَّى)([8]) .

ويقول القرطبي في تفسير آية سورة النساء : ((وما يفعل الله..) استفهام بمعنى التقرير للمنافقين ، والتقدير : أي منفعة له في عذابكم إن شكرتم وآمنتم ،

([1]) انظر أساليب الاستفهام في القرآن ص١٢٦-١٢٨ .

([2]) النساء : ٣٩ .

([3]) يونس : ٣٢ .

([4]) المرجع نفسه ص١٢٨ .

([5]) النساء : ١٤٧ .

([6]) الشورى : ١٧ .

([7]) الأحزاب : ٦٣ .

([8]) عبس : ٣ .

فنبه تعالى أنه لا يعذب الشاكر المؤمن وأن تعذيبه عباده لا يزيد ملكه وتركه عقوبتهم على فعلهم لا ينقص من سلطانه)([1]) .

ويقول البيضاوي في تفسير آية (الأحزاب) : ((وَمَا يُدْرِيكَ لَعَلَّ السَّاعَةَ تَكُونُ قَرِيبًا) شيئاً قريباً ، أو تكون الساعة عن قريب ، وفيه تهديد للمستعجلين وإسكات للمتعنتين)([2]) .

وجاء في تفسير هذه الآية : ((وما يدريك..) خطاب مستقل له – صلى الله عليه وسلم – غير داخل تحت الأمر مسوق لبيان أنها مع كونها غير معلومة مرجوة المجئ عن قريب ، (وما) استفهام في موضع الرفع بالابتداء والجملة بعده خبر ، أي : أي شئ يعلمك بوقت قيامها ، والمعنى على النفي ، أي : لا يعلمنك به شئ أصلاً .. وفي الكلام تهديد للمستعجبين)([3]) .

وتفيد (ما) النفي في أساليب (ما أدراك) ، (وما يدريك) ، وهذين الأسلوبين يتفقان في أنهما يمهدان لما يراد تفخيمه وتعظيم شأنه ، ويختلفان في أن (ما أدراك) قد علم متلوها ، بخلاف ما بعد (ما يدريك) فلم يعلم([4]) .

يقول الكفومي في هذا المعنى : (كل شئ في القرآن (ما يدريك) فلم يخبر به ، وكل شئ في القرآن (ما أدراك) فقد أخبر به ، وذلك أن (ما) في الموضعين للاستفهام الإنكاري ، لكن في (ما يدريك) إنكار ونفي للإدراك في الحال والمستقبل ، فإذا نفى الله ذلك في المستقبل لم يخبره ولم يفسره ، وفي (ما أدراك) إنكار ونفي لتحقق الإدراك في الماضي ولا ينافي تحققه في الحال أو المستقبل فأدرى الله بإخباره وتفسيره([5]) .

([1]) تفسير القرطبي ج٥ ص٤٢٦ .

([2]) تفسير البيضاوي ج٤ ص٣٨٧ .

([3]) أبي الفضل شهاب الدين السيد محمود الألوسي البغدادي – روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني – بدون (ط ت) دار إحياء التراث العربي – بيروت لبنان ج٢٢ ص٩٢ .

([4]) أساليب الاستفهام في القرآن ص١٢٩ .

([5]) أبو البقاء أيوب بن موسى الحسيني الكفومي – كتاب الكليات – بتحقيق عدنان درويش – محمد المصري – مؤسسة الرسالة بيروت لبنان (١٤١٩هـ-١٩٩٨م) ج١ ص١٢٨٥ .

وأسلوب (ما أدراك) يسبقه ذكر الاسم المراد تفخيمه ، ويعقبه الاستفهام عنه بما دائماً متلوة بهذا الاسم معاداً ، كقوله تعالى : (الْحَاقَّةُ مَا الْحَاقَّةُ وَمَا أَدْرَاكَ مَا الْحَاقَّةُ كَذَّبَتْ ثَمُودُ وَعَادٌ بِالْقَارِعَةِ)(١) ، وقد يعقبها ضميره كما في قوله تعالى : (فَأُمُّهُ هَاوِيَةٌ وَمَا أَدْرَاكَ مَا هِيَهْ نَارٌ حَامِيَةٌ)(٢) ، وقد تكرر زيادة في التفخيم والتهويل ، كقوله تعالى : (يَصْلَوْنَهَا يَوْمَ الدِّينِ وَمَا هُمْ عَنْهَا بِغَائِبِينَ وَمَا أَدْرَاكَ مَا يَوْمُ الدِّينِ ثُمَّ مَا أَدْرَاكَ مَا يَوْمُ الدِّينِ يَوْمَ لا تَمْلِكُ نَفْسٌ لِنَفْسٍ شَيْئًا وَالأَمْرُ يَوْمَئِذٍ لِلَّهِ)(٣) .

وفي هذه الأمثلة من الآيات الكريمة استعملت (ما أدراك) في أساليب التهويل الذي يراد به التخويف ، وهو في معرض ذكر القيامة والنار . كما أنها تستعمل في أساليب لا يراد بها التخويف بل تعظيم أمر وتفخيمه ، كقوله تعالى : (وَالسَّمَاءِ وَالطَّارِقِ وَمَا أَدْرَاكَ مَا الطَّارِقُ النَّجْمُ الثَّاقِبُ)(٤) ، وكقوله تعالى : (فَلا اقْتَحَمَ الْعَقَبَةَ وَمَا أَدْرَاكَ مَا الْعَقَبَةُ فَكُّ رَقَبَةٍ أَوْ إِطْعَامٌ فِي يَوْمٍ ذِي مَسْغَبَةٍ)(٥) ، وأيضاً قوله تعالى : (إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةِ الْقَدْرِ وَمَا أَدْرَاكَ مَا لَيْلَةُ الْقَدْرِ لَيْلَةُ الْقَدْرِ خَيْرٌ مِنْ أَلْفِ شَهْرٍ)(٦) . فقد أريد تعظيم النجم الثاقب ، وفك الرقبة ، وليلة القدر(٧) .

و(ما) من أكثر أدوات الاستفهام دوراناً في القرآن الكريم بعد الهمزة ، وهي كذلك أكثر دلالة على المعاني البلاغية ، وتأتي للاستفهام الحقيقي كثيراً ، كما أنها تكثر في الاستفهام الجوازي . ويتلوها الاسم كما يتلوها الفعل ، ويتلوها حرف الجر وبعده ضمير أو ظاهر . كما تأتي بعدها الحال وتكون هي المعنية بالاستفهام ، وهذه الحال إما أن تكون مفردة مثبتة ، وإما أن تكون جملة فعلية مثبتة أو منفية .

---

(١) الحاقة : ١-٤ .

(٢) القارعة : ٩-١١ .

(٣) الانفطار : ١٥-١٩ .

(٤) الطارق : ١-٣ .

(٥) البلد : ١١-١٤ .

(٦) القدر : ١-٣ .

(٧) أساليب الاستفهام في القرآن ص١٢٩-١٣٠ .

فمما جاءت فيه (ما) وبعدها الاسم قوله تعالى : (فَأَصْحَابُ الْمَيْمَنَةِ مَا أَصْحَابُ الْمَيْمَنَةِ وَأَصْحَابُ الْمَشْأَمَةِ مَا أَصْحَابُ الْمَشْأَمَةِ)([1]) ، وقوله تعالى : (وَأَصْحَابُ الْيَمِينِ مَا أَصْحَابُ الْيَمِينِ فِي سِدْرٍ مَخْضُودٍ)([2]) ، وقوله تعالى : (وَأَصْحَابُ الشِّمَالِ مَا أَصْحَابُ الشِّمَالِ فِي سَمُومٍ وَحَمِيمٍ)([3]) .

يقول البيضاوي في تفسير قوله تعالى : ((وأصحاب اليمين ما أصحاب اليمين وأصحاب الشمال ما أصحاب الشمال) الجملتان الاستفهاميتان معناهما التعجب من حال الفريقين)([4]) ،

ويقول فيها أبو السعود : (المراد تعجيب السامع من شأن الفريقين في الفخامة والفظاعة ، فكأنه قيل : فأصحاب الميمنة في غاية حسن الحال ، وأصحاب المشأمة في نهاية سوء الحال)([5]) .

ومن المواضع التي وليها الفعل فيها قوله تعالى : (عَمَّ يَتَسَاءَلُونَ عَنِ النَّبَإِ الْعَظِيمِ الَّذِي هُمْ فِيهِ مُخْتَلِفُونَ)([6]) ، ، وقوله تعالى : (فَلْيَنْظُرِ الإِنْسَانُ مِمَّ خُلِقَ خُلِقَ مِنْ مَاءٍ دَافِقٍ)([7]) .

ويقول البيضاوي في تفسير آية (النبأ) : (ومعنى هذا الاستفهام تفخيم شأن ما يتساءلون عنه كأنه لفخامته خفى جنسه فيسأل عنه .. عن النبأ العظيم بيان لشأن المفخم)([8]) .

ومن المواضع التي وليها فيها حرف الجر ، وهذه الأساليب هي التي تشتمل على الحال التي هي محط الاستفهام ومقصده ، من ذلك ما تكون الحال فيه مفردة

([1]) الواقعة : ٨-٩ .

([2]) الواقعة : ٢٧-٢٨ .

([3]) الواقعة : ٤١-٤٢ .

([4]) تفسير البيضاوي ج٥ ص٢٨٤ .

([5]) تفسير أبي السعود ج٨ ص١٨٩ .

([6]) النبأ : ١-٣ .

([7]) الطارق : ٥-٦ .

([8]) تفسير البيضاوي ج٥ ص٤٣٨ .

مثبتة ، وذلك كقوله تعالى : (فَمَا لَكُمْ فِي الْمُنَافِقِينَ فِئَتَيْنِ وَاللَّهُ أَرْكَسَهُمْ بِمَا كَسَبُوا أَتُرِيدُونَ أَنْ تَهْدُوا مَنْ أَضَلَّ اللَّهُ وَمَنْ يُضْلِلِ اللَّهُ فَلَنْ تَجِدَ لَهُ سَبِيلاً)([1]) .

وجاء في تفسير هذه الآية من سورة (النساء) : (فما لكم في المنافقين فئتين؟ ، الاستفهام للإنكار والنفي والخطاب لجميع المؤمنين ، لكن ما فيه من معنى التوبيخ متوجه إلى بعضهم .. وقوله (فئتين) وقعت حالاً من الضمير في لكم)([2]) .

ومن هذه المواضع ما تكون فيه الحال جملة فعلية ، كقوله تعالى : (وَيَا قَوْمِ مَا لِي أَدْعُوكُمْ إِلَى النَّجَاةِ وَتَدْعُونَنِي إِلَى النَّارِ)([3]) وفيها توبيخ وتعجب وذلك مما يلي الاستفهام ، وهو دعوتهم إياه إلى النار ودعوته إياهم إلى النجاة ، كأنه قيل : أخبروني كيف تكون هذه الحال([4]) .

ومنها ما تكون فيه الحال جملة فعلية منفية ، وهي تتضمن معنى الطلب ، من ذلك قوله تعالى : (مَا لَكُمْ لا تَنَاصَرُونَ)([5]) . وجاءت بطريق التوبيخ والتقريع والتهكم ، أي : لا ينصر بعضكم بعضاً كما كنتم تزعمون في الدنيا([6]) .

وجملة هذه الأساليب كثيرة ، فمنها ما تكون فيه الحال مفردة ، وما تكون فيه جملة فعلية مثبتة أو منفية متضمنة معنى الطلب ، وقد يخفى فيها الطلب ، وتكون الحال مذكورة أو مقدرة ، وتصحب هذه الأساليب معان كثيرة أشهرها الإنكار([7]) .

ومن صور استعمالات (ما) أن تليها (ذا) وللعلماء آراء فيها إذا تركبت مع ذا ، هل تدل على الاستفهام أم لا تدل عليه ؟ .

والعلماء قد اختلفوا في (ذا) هل هي اسم موصول بمعنى الذي ، أم هي و(ما) اسماً واحداً .

([1]) النساء : ٨٨ .

([2]) تفسير أبي السعود ج٢ ص٢١٢ .

([3]) غافر : ٤١ .

([4]) انظر المرجع نفسه ج٧ ص٢٧٧ .

([5]) الصافات : ٢٥ .

([6]) المرجع نفسه ج٧ ص١٨٨ .

([7]) انظر أساليب الاستفهام في القرآن ص١٣٥-١٣٨ .

(فذا) تكون موصولاً بمعنى الذي ، ولا تكون كذلك إلا بشرطين ، أحدهما: أن تكون بعد (ما) أو (من) الاستفهاميتين .

ومن ورود ذا موصولة قول لبيد :

ألا تسألان المرء ماذا يحاول أنحب فيقضى أم ضلال وباطل ؟

أي : ما الذي يحاول .

وقيل أن (ذا) ملغية ومعنى الإلغاء : أن تركب (ذا) مع (ما) ، فيصير المجموع اسماً واحداً ، وله حينئذ معنيان أحدهما وهو الأشهر ، أن يكون اسم استفهام ، والدليل على أنهما تركبا قولهم : عماذا تسأل ؟ بإثبات الألف لتوسطها . ويتعين ذلك في قول جرير :

يا خزر تغلب ماذا بال نسوتكم لا يستفقن إلى الديرين تحنانا

وقول الآخر :

وأبلغ أبا سعد إذا ما لقيته نذيراً وماذا ينفعن نذير ؟

ولا يجوز أن تكون (ذا) موصولة في البيتين لأن العرب لا تقول : ما الذي بالك ، ولا يؤكد الفعل الواقع صلة بالنون .

وتترجح دعوى التركيب في قوله تعالى : (مَنْ ذَا الَّذِي يُقْرِضُ اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا)([1]) هذا قول ، والقول الثاني : أن تكون المجموع اسماً واحداً موصولاً ، أو نكرة موصوفة ، وعليه بيت الكتاب ، والبيت للمثقب العبدي :

دعى ماذا علمت سأتقيه ولكن بالمغيب نبئيني

وكذلك هو لأبي حية النميري .

وقد ضعّف هذا الرأي ، أي : أن تكون في البيت موصولة([2]) .

ويتضح أن (ماذا) تحتمل أربعة أوجه :

أحدها : أن تكون (ما) استفهامية ، و(ذا) اسم إشارة .

ثانيهما : أن تكون (ما) استفهامية ، و(ذا) اسم موصول .

وثالثهما : أن يكون المجموع اسماً واحداً للاستفهام .

([1]) البقرة : ٢٤٥ .

([2]) ابن أم قاسم المرادي – الجني الداني في حروف المعاني ج١ ص٤٠ .

ورابعهما : أن يكون المجموع اسماً واحداً خبرياً([1]) .

هذا وقد وردت (ماذا) في القرآن الكريم في سبعة وعشرين موضعاً ، فمن أمثلتها قوله تعالى : (إِنَّ اللَّهَ لا يَسْتَحْيِي أَنْ يَضْرِبَ مَثَلًا مَا بَعُوضَةً فَمَا فَوْقَهَا فَأَمَّا الَّذِينَ آَمَنُوا فَيَعْلَمُونَ أَنَّهُ الْحَقُّ مِنْ رَبِّهِمْ وَأَمَّا الَّذِينَ كَفَرُوا فَيَقُولُونَ مَاذَا أَرَادَ اللَّهُ بِهَذَا مَثَلًا يُضِلُّ بِهِ كَثِيرًا وَيَهْدِي بِهِ كَثِيرًا وَمَا يُضِلُّ بِهِ إِلا الْفَاسِقِينَ)([2]) .

وجاء في تفسير هذه الآية : (ماذا أراد الله بهذا مثلا ، تمييز ، أي : بهذا المثل ، وما استفهام إنكار مبتدأ ، وذا بمعنى الذي صلته خبره ، أي : أي فائدة فيه . قال تعالى في جوابهم (يضل به) أي : بهذا المثل كثيراً عن الحق لكفرهم به ويهدي به كثيراً من المؤمنين لتصديقهم به)([3]) .

كذلك يقول البيضاوي في تفسير هذه الآية : (ماذا أراد الله بهذا مثلا ، يحتمل وجهين : أن تكون ما استفهامية وذا بمعنى الذي ، وما بعده صلته ، والمجموع خبر ما ، وأن تكون ما مع ذا اسماً واحداً بمعنى : أي شئ منصوب المحل على المفعولية)([4]) .

كذلك نجدها في قوله تعالى : (وَمَاذَا عَلَيْهِمْ لَوْ آَمَنُوا بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الآَخِرِ وَأَنْفَقُوا مِمَّا رَزَقَهُمُ اللَّهُ وَكَانَ اللَّهُ بِهِمْ عَلِيمًا)([5]) الاستفهام للإنكار([6]) .

وجاء أيضاً في تفسيرها : (أي وما الذي عليهم أو أي تبعة تحيق بهم بسبب الإيمان والإنفاق في سبيل الله وهو توبيخ لهم على عدم الإيمان والإنفاق)([7]) .

أيضاً منها قوله تعالى : (فَذَلِكُمُ اللَّهُ رَبُّكُمُ الْحَقُّ فَمَاذَا بَعْدَ الْحَقِّ إِلا الضَّلالُ فَأَنَّى تُصْرَفُونَ)([8]) استفهام تقرير ، أي : ليس بعده غيره([1]) .

([1]) المرجع نفسه الجزء والصفحة .

([2]) البقرة : ٢٦ .

([3]) تفسير الجلالين ج١ ص٧ .

([4]) تفسير البيضاوي ج١ ص٢٦٠ .

([5]) النساء : ٣٩ .

([6]) الجلالين ج١ ص١٠٧ .

([7]) البيضاوي ج٢ ص١٨٨ .

([8]) يونس : ٣٢ .

(فماذا بعد الحق إلا الضلال ، استفهام إنكار ، أي : ليس بعد الحق إلا الضلال)([2]) .

ومنها قوله تعالى : (وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ مَاذَا أَنْزَلَ رَبُّكُمْ قَالُوا أَسَاطِيرُ الأَوَّلِينَ)([3]) وجاء في تفسير هذه الآية : (ماذا أنزل ربكم .. قوله (ماذا) يحتمل أن تكون (ذا) موصولة و(ما) مبتدأ وجملة (أنزل) صلة الموصول ، والموصول وصلته خبر المبتدأ ، ويحتمل أن يكون مجموعهما اسماً واحداً في محل نصب على أنه مفعول أنزل)([4]) .

ومنها قوله تعالى : (اذْهَبْ بِكِتَابِي هَذَا فَأَلْقِهِ إِلَيْهِمْ ثُمَّ تَوَلَّ عَنْهُمْ فَانْظُرْ مَاذَا يَرْجِعُونَ)([5]) . (ماذا يرجعون ، وماذا إما كلمة استفهام في موضع المفعول ليرجعون ، أو مبتدأ وجملة يرجعون خبره . وإما أن تكون ما استفهامية مبتدأ وذا اسم موصول بمعنى الذي خبره ، وجملة يرجعون صلة الموصول)([6]) .

كذلك منها قوله تعالى : (إِذْ قَالَ لأَبِيهِ وَقَوْمِهِ مَاذَا تَعْبُدُونَ)([7]) استفهام توبيخ([8]) .

وأيضاً منها قوله تعالى : (وَمِنْهُمْ مَنْ يَسْتَمِعُ إِلَيْكَ حَتَّى إِذَا خَرَجُوا مِنْ عِنْدِكَ قَالُوا لِلَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ مَاذَا قَالَ آنِفًا أُولَئِكَ الَّذِينَ طَبَعَ اللَّهُ عَلَى قُلُوبِهِمْ وَاتَّبَعُوا أَهْوَاءَهُمْ)([9]) .

وقد جاء في تفسير هذه الآية من سورة (محمد) : (ماذا قال آنفاً ، ما الذي قال الساعة استهزاء أو استعلاماً إذ لم يلقوا له آذانهم تهاوناً به)([10]) .

([1]) الجلالين ج١ ص٢٧١ .

([2]) تفسير البيضاوي ج٣ ص١٩٦ .

([3]) النحل : ٢٤ .

([4]) تفسير أضواء البيان ج٢ ص٣٦٢-٣٦٣ .

([5]) النمل : ٢٨ .

([6]) روح المعاني ج١٩ ص١٩٣ .

([7]) الصافات : ٨٥ .

([8]) تفسير البغوي ج٤ ص٣٠ .

([9]) محمد : ١٦ .

([10]) تفسير البيضاوي ج٥ ص١٩٢ .

ويلاحظ في هذه الآيات التي وردت فيها (ماذا) دائماً أن (ما) استفهامية ، و(ذا) اسم موصول بمعنى الذي ، وهذا القول هو المشهور من أقوال المفسرين الذين تعرضنا إلى تفسيراتهم لهذه الآيات والله أعلم .

المطلب الثالث : تحليل معاني (متى)

المشهور فيها أنها اسم من الظروف ، تكون شرطاً واستفهاماً([1]) .

وقد وردت (متى) في القرآن الكريم في تسعة مواضع :

منها قوله تعالى : (أَمْ حَسِبْتُمْ أَنْ تَدْخُلُوا الْجَنَّةَ وَلَمَّا يَأْتِكُمْ مَثَلُ الَّذِينَ خَلَوْا مِنْ قَبْلِكُمْ مَسَّتْهُمُ الْبَأْسَاءُ وَالضَّرَّاءُ وَزُلْزِلُوا حَتَّى يَقُولَ الرَّسُولُ وَالَّذِينَ آَمَنُوا مَعَهُ مَتَى نَصْرُ اللَّهِ أَلا إِنَّ نَصْرَ اللَّهِ قَرِيبٌ)([2]) .

وجاء في تفسير هذه الآية : (متى نصر الله ، استبطاء له لتأخره)([3]) .

كذلك جاء في تفسيرها : (متى نصر الله ، أي : متى يأتي ، طلباً وتمنياً له واستطالة لمدة الشدة والعناء)([4]) .

كذلك منها قوله تعالى : (وَيَقُولُونَ مَتَى هَذَا الْوَعْدُ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ)([5]) استبعاداً له واستهزاء به (إن كنتم صادقين) خطاب منهم للنبي صلى الله عليه وسلم والمؤمنين([6]) .

ونجد بقية هذه الآيات في (الإسراء ٥١ ، والأنبياء ٣٨ ، والنمل ٧١ ، والسجدة ٢٨ ، وسبأ ٢٩ ، ويس ٤٨ ، والملك ٢٥) .

وفي كل ذلك تكذيب من المشركين بيوم القيامة ، واستهزاء به ، واستبعاداً له ، واستعجالاً له على وجه السخرية([7]) .

([1]) الجني الداني في حروف المعاني ج١ ص٨٥ .

([2]) البقرة : ٢١٤ .

([3]) تفسير البيضاوي ج١ ص٤٩٨ .

([4]) تفسير أبي السعود ج١ ص٢١٥ .

([5]) يونس : ٤٨ .

([6]) تفسير البيضاوي ج٣ ص٢٠١ .

([7]) انظر في ذلك تفسير البيضاوي لهذه الآيات .

المطلب الرابع : تحليل معاني (أيان)

أيان يسأل به عن الزمان المستقبل ، ولا يستعمل إلا فيما يراد تفخيم أمره وتعظيم شأنه نحو قوله تعالى : (أَيَّانَ يَوْمُ الْقِيَامَةِ)([1]) . ويكون بمعنى (متى) نحو قوله تعالى : (وَمَا يَشْعُرُونَ أَيَّانَ يُبْعَثُونَ)([2]) .

وقد وردت في القرآن الكريم في ستة مواضع .

منها قوله تعالى : (يَسْأَلُونَكَ عَنِ السَّاعَةِ أَيَّانَ مُرْسَاهَا)([3]) ، وجاء في تفسيرها : (أيان مرساها ، متى إرساؤها ، أي : إثباتها واستقرارها ، واشتقاق (أيان) من (أي) ، لأن معناه : أي وقت)([4]) .

كذلك جاء في تفسيرها : (أيان ظرف زمان متضمن لمعنى الاستفهام ، ويليه المبتدأ ، أو الفعل المضارع دون الماضي ، وقيل : إنه مشتق من (أي) لأن معناه : أي وقت ، ومحله الرفع على أنه خبر مقدم ، ومرساها مبتدأ مؤخر ، أي : متى إرساؤها ، أي : إثباتها وتقريرها)([5]) .

وأيضاً جاء في تفسيرها : (أيان سؤال عن الزمان مثل متى ، قال الراجز :

أيان تقضي حاجتي أيانا أما ترى لنجحها أوانا

وقيل : إن المشركين قالوا ذلك لفرط الإنكار)([6]) .

ومنها قوله تعالى : (وَمَا يَشْعُرُونَ أَيَّانَ يُبْعَثُونَ)([7]) .

وجاء في تفسير هذه الآية : (وفيه تهكم بالمشركين ، وأن آلهتهم لا يعلمون وقت بعثهم)([8]) .

([1]) القيامة : ٦ .

([2]) النحل : ٢١ ، والنمل : ٦٥ ، كتاب الكليات ج١ ص٣٢٨ .

([3]) الأعراف : ١٨٧ .

([4]) تفسير البيضاوي ج٣ ص٨٩ .

([5]) تفسير أبي السعود ج٣ ص٢٠٠ .

([6]) تفسير القرطبي ج٧ ص٣٣٥ .

([7]) النحل : ٢١ .

([8]) تفسير ابن كثير ج٢٠ ص١٤ .

وفيها أيضاً : (ما يشعر أولئك الآلهة أيان يبعث عبدتهم ، فعلى طريقة التهكم بهم)([1]) .

وأيضاً منها قوله تعالى : (يَسْأَلُونَ أَيَّانَ يَوْمُ الدِّينِ)([2]) ؛ أي : متى وقوع يوم الجزاء، لكن لا بطريق الاستعلام حقيقة ، بل بطريق الاستعجال استهزاء([3]).

كذلك جاء في تفسيرها : (يقولون يا محمد متى يوم الجزاء يعني يوم القيامة ، تكذيباً واستهزاء)([4]) .

كما أن منها قوله تعالى : (أَيَّانَ يَوْمُ الْقِيَامَةِ)([5]) ، متى يكون يوم القيامة استبعاداً له أو استهزاء([6]) .

المطلب الخامس : تحليل معاني (أين)

أين يبحث به عن المكان بطريق الشرطية نحو : (أين تجلس أجلس) وأين سؤال عن المكان الذي حل فيه الشئ ، ومن أين سؤال عن المكان الذي برز منه الشئ ، (وما) في (أينما) موصولة وصلت ب(أين) في خط المصحف وحقها الفصل([7]) .

وقد وردت في القرآن في تسعة عشر موضعاً .

منها قوله تعالى : (وَلِلَّهِ الْمَشْرِقُ وَالْمَغْرِبُ فَأَيْنَمَا تُوَلُّوا فَثَمَّ وَجْهُ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ وَاسِعٌ عَلِيمٌ)([8]) . (فأينما تولوا ، شرط ولذلك حذفت النون ، وأين العاملة ، وما زائدة ، والجواب (فثم وجه الله)([9]) .

([1]) تفسير أبي السعود ج٥ ص١٠٦ .

([2]) الذاريات : ١٢ .

([3]) تفسير أبي السعود ج٨ ص١٣٧ .

([4]) تفسير البغوي ج٤ ص٢٢٩ .

([5]) القيامة : ٦ .

([6]) تفسير البيضاوي ج٥ ص٤٢٠

([7]) كتاب الكليات ج١ ص٣٢٨ .

([8]) البقرة : ١١٥ .

([9]) تفسير القرطبي ج٢ ص٧٩ .

كذلك جاء في تفسيرها : (فأينما ظرف لازم الظرفية متضمن لمعنى الشرط ، وليس مفعولاً ل(تولوا))([1]) .

ومنها قوله تعالى : (وَيَوْمَ نَحْشُرُهُمْ جَمِيعًا ثُمَّ نَقُولُ لِلَّذِينَ أَشْرَكُوا أَيْنَ شُرَكَاؤُكُمُ الَّذِينَ كُنْتُمْ تَزْعُمُونَ)([2]) والمراد من الاستفهام التوبيخ([3]) .

كذلك منها قوله تعالى : (ثُمَّ يَوْمَ الْقِيَامَةِ يُخْزِيهِمْ وَيَقُولُ أَيْنَ شُرَكَائِيَ)([4]) ، إن الله جل وعلا يسأل المشركين يوم القيامة سؤال توبيخ([5]) .

وفيها توبيخ إثر توبيخ مع الاستهزاء بهم([6]) .

وأيضاً منها قوله تعالى : (وَقِيلَ لَهُمْ أَيْنَ مَا كُنْتُمْ تَعْبُدُونَ)([7]) . وهذا سؤال تقريع وتبكيت لا يتوقع له جواب ولذلك قيل : (فَكُبْكِبُوا فِيهَا هُمْ وَالْغَاوُونَ)([8]) .

ومنها قوله تعالى : (وَيَوْمَ يُنَادِيهِمْ فَيَقُولُ أَيْنَ شُرَكَائِيَ الَّذِينَ كُنْتُمْ تَزْعُمُونَ)([9]) .

وفيه تقريع بعد تقريع للإشعار بأنه لا شئ أجلب لغضب الله من الإشراك به ، أو الأول : لتقرير فساد رأيهم ، والثاني : لبيان أنه لم يكن عن سند ، وإنما

كان محض تشه وهوى([10]) .

ومنها قوله تعالى : (ثُمَّ قِيلَ لَهُمْ أَيْنَ مَا كُنْتُمْ تُشْرِكُونَ ، مِنْ دُونِ اللَّهِ قَالُوا ضَلُّوا عَنَّا بَلْ لَمْ نَكُنْ نَدْعُو مِنْ قَبْلُ شَيْئًا كَذَلِكَ يُضِلُّ اللَّهُ الْكَافِرِينَ)([11]) ، هذا توبيخ وتقريع لهم ؛ أي : أين الشركاء الذين كنتم تعبدونهم من دون الله([1]) .

([1]) تفسير روح المعاني ج١ ص٣٦٥ .

([2]) الأنعام : ٢٢ .

([3]) تفسير البيضاوي ج٢ ص٣٩٩

([4]) النحل : ٢٧ .

([5]) تفسير أضواء البيان ج٢ ص٣٦٦ .

([6]) تفسير أبي السعود ج٥ ص١٠٨ .

([7]) الشعراء : ٩٢ .

([8]) الشعراء : ٩٤ ، أبي السعود ج٦ ص٢٥١ .

([9]) القصص : ٦٢ ، و٧٤ .

([10]) تفسير البيضاوي ج٤ ص٣٠٢ .

([11]) غافر : ٧٣-٧٤ .

ومنها قوله تعالى : (وَيَوْمَ يُنَادِيهِمْ أَيْنَ شُرَكَائِي قَالُوا آذَنَّاكَ مَا مِنَّا مِنْ شَهِيدٍ)([2]) . (أين شركائي ، على طريقة التهكم بهم)([3]) .

ومنها قوله تعالى : (وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنْتُمْ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ)([4]) . (وهو معكم أين ما كنتم .. ؛ أي : بقدرته وسلطانه وعلمه . وهذا تمثيل للإحاطة بما يصدر منهم أينما داروا في الأرض من بر وبحر([5]) .

كما أن منها قوله تعالى : (يَقُولُ الإِنْسَانُ يَوْمَئِذٍ أَيْنَ الْمَفَرُّ)([6]) . يقول قول الآيس من وجدانه المتمني ففي الاستفهام عن المفر تمني([7]) .

ومنها أيضاً قوله تعالى : (فَأَيْنَ تَذْهَبُون)([8]) . استضلال لهم فيما يسلكونه في أمر الرسول صلى الله عليه وسلم والقرآن ، كقولك لتارك الجادة : أين تذهب([9]) .

وفيه تبكيت منه سبحانه وتعالى وتوبيخ لهم ؛ أي : أين تعدلون عن هذا القرآن وعن طاعته([10]) .

المطلب السادس: تحليل معاني (كيف)

كيف لها ثلاثة مواضع : تقع بمنزلة كما ، واستفهاماً عن حال ، تقول : أعلمه كيف تشاء ، كما تقول : أعلمه كما تشاء .

([1]) تفسير فتح القدير ج٤ ص٥٠٢ .

([2]) فصلت : ٤٧ .

([3]) المرجع نفسه ج٤ ص٥٢٢ .

([4]) الحديد : ٤ .

([5]) المرجع نفسه ج٥ ص١٦٦ .

([6]) القيامة : ١٠ .

([7]) تفسير البيضاوي ج٥ ص٤٢١ .

([8]) التكوير : ٢٦ .

([9]) المرجع نفسه ج٥ ص٤٥٩ .

([10]) تفسير فتح القدير ج٥ ص٣٩٢ .

وتقول في الاستفهام : كيف أبوك صانع ؟ إذا سألته عن صنيعه ، فإذا سألته عن نفسه ، قلت : كيف زيد ؟ فيقال : صالح ، فهي تسأل بها عن حال الشئ ، وهيئته .

وتقع كيف بمعنى التعجب ، كقوله تعالى : (كَيْفَ تَكْفُرُونَ بِاللَّهِ وَكُنْتُمْ أَمْوَاتًا فَأَحْيَاكُمْ..)([1]) وقد وردت (كيف) في ثلاثة وثمانين موضعاً من القرآن الكريم .

ولقد بحثت في كتب المفسرين فوجدت لها معان كثيرة يغلب عليها الإنكار والتعجيب ، بالإضافة إلى معان أخرى أعرض لها حين عرض الآيات التي تشتمل عليها .

ومن هذه الآيات التي وردت فيها (كيف) قوله تعالى : ((كَيْفَ تَكْفُرُونَ بِاللَّهِ وَكُنْتُمْ أَمْوَاتًا فَأَحْيَاكُمْ..)([2]) ويقول البيضاوي في تفسير هذه الآية : (استفهام فيه إنكار وتعجيب لكفرهم ، بإنكار الحال التي يقع عليها على الطريق البرهاني ، فإن صدوره لا ينفك عن حال وصفة ، فإذا أنكر أن يكون لكفرهم حال يوجد عليها ، استلزم ذلك إنكار وجوده ، فهو أبلغ وأقوى في إنكار الكفر من أتفكرون .. ووبخهم على كفرهم)([3]) .

كذلك جاء في تفسيرها : (الاستفهام في هذه الآية بمعنى إنكار الواقع واستبعاده ، والتعجيب منه ، وفيه من المبالغة ما ليس في توجيه الإنكار إلى نفس الكفر بأن يقال : أتكفرون ، كما فيه توبيخ وتقريع)([4]) .

ومنها قوله تعالى : (فَكَيْفَ إِذَا جَمَعْنَاهُمْ لِيَوْمٍ لا رَيْبَ فِيهِ وَوُفِّيَتْ كُلُّ نَفْسٍ مَا كَسَبَتْ وَهُمْ لا يُظْلَمُونَ)([5]) وهو استعظام لما أعد لهم وتهويل لهم([6]) .

([1]) البقرة : ٢٨ . أبو القاسم عبد الرحمن بن إسحاق الزجاجي ، كتاب حروف المعاني ط١ (١٩٨٤م) بتحقيق د. علي توفيق الحمد – مؤسسة الرسالة – بيروت لبنان ج١ ص٣٥ .

([2]) البقرة : ٢٨ .

([3]) تفسير البيضاوي ص٢٦٧-٢٦٨ .

([4]) تفسير أبي السعود ج١ ص٧٧ .

([5]) آل عمران ٢٥ .

([6]) الكشاف ج١ ص٣٧٧ .

كذلك منها قوله تعالى : (كَيْفَ يَهْدِي اللَّهُ قَوْمًا كَفَرُوا بَعْدَ إِيمَانِهِمْ وَشَهِدُوا أَنَّ الرَّسُولَ حَقٌّ وَجَاءَهُمُ الْبَيِّنَاتُ وَاللَّهُ لا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ)([1]) . لفظه استفهام ، ومعناه جحد ، أي : لا يهدي الله([2]) .

كذلك جاء في تفسيرها : (معنى الاستفهام في هذه الآية : الاستبعاد ، وقيل نفي وإنكار)([3]) .

أيضاً منها قوله تعالى : (وَكَيْفَ تَكْفُرُونَ وَأَنْتُمْ تُتْلَى عَلَيْكُمْ آيَاتُ اللَّهِ وَفِيكُمْ رَسُولُهُ وَمَنْ يَعْتَصِمْ بِاللَّهِ فَقَدْ هُدِيَ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ)([4]) .

وجاء في تفسيرها : (وكيف تكفرون ، الاستفهام للإنكار ، أي : من أين يأتيكم ذلك ، ولديكم ما يمنع منه ويقطع أثره ، وهو تلاوة آيات الله عليكم وكون رسول الله صلى الله عليه وسلم بين أظهركم)([5]) .

ومنها كذلك قوله تعالى : (وَكَيْفَ تَأْخُذُونَهُ وَقَدْ أَفْضَى بَعْضُكُمْ إِلَى بَعْضٍ وَأَخَذْنَا مِنْكُمْ مِيثَاقًا غَلِيظًا)([6]) استفهام إنكار([7]) .

وقوله تعالى : (فَكَيْفَ إِذَا جِئْنَا مِنْ كُلِّ أُمَّةٍ بِشَهِيدٍ وَجِئْنَا بِكَ عَلَى هَؤُلاءِ شَهِيدًا)([8]) الاستفهام في هذه الآية معناه التهويل والتفخيم([9]) .

ومنها قوله تعالى : (انْظُرْ كَيْفَ يَفْتَرُونَ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ وَكَفَى بِهِ إِثْمًا مُبِينًا)([10]) فيه تعجيب([11]) .

([1]) آل عمران ٨٦ .

([2]) تفسير البغوي ج١ ص٣٢٣ .

([3]) تفسير البيضاوي ج٢ ص٦١ .

([4]) آل عمران : ١٠١ .

([5]) فتح القدير ج١ ص٣٦٧ .

([6]) النساء : ٢١ .

([7]) المرجع نفسه ج١ ص٤٤١ .

([8]) النساء : ٤١ .

([9]) روح المعاني ج٥ ص٣٤ .

([10]) النساء : ٥٠ .

([11]) أبي السعود ج٢ ص١٨٨ .

ومنها قوله تعالى : (وَكَيْفَ يُحَكِّمُونَكَ وَعِنْدَهُمُ التَّوْرَاةُ فِيهَا حُكْمُ اللَّهِ..)([1]) .

(وكيف يحكمونك .. تعجيب من تحكيمهم لمن لا يؤمنون به وبكتابه)([2]) .

ومنها قوله تعالى : (وَكَيْفَ أَخَافُ مَا أَشْرَكْتُمْ وَلا تَخَافُونَ أَنَّكُمْ أَشْرَكْتُمْ بِاللَّهِ)([3]) والاستفهام لإنكار الوقوع ونفيه بالكلية([4]) .

ومنها قوله تعالى : (فَتَوَلَّى عَنْهُمْ وَقَالَ يَا قَوْمِ لَقَدْ أَبْلَغْتُكُمْ رِسَالاتِ رَبِّي وَنَصَحْتُ لَكُمْ فَكَيْفَ آسَى عَلَى قَوْمٍ كَافِرِينَ)([5]) (فكيف آسى على قوم كافرين ، استفهام بمعنى النفي)([6]) .

ومنها قوله تعالى : (كَيْفَ يَكُونُ لِلْمُشْرِكِينَ عَهْدٌ عِنْدَ اللَّهِ وَعِنْدَ رَسُولِهِ..)([7]) هذا على وجه التعجيب ومعناه جحد ، أي : لا يكون لهم عهد عند الله ولا عند رسوله ، وهم يغدرون وينقضون العهد([8]) .

كذلك فيها أن الاستفهام للتعجيب المتضمن للإنكار([9]) .

ومنها قوله تعالى : (كَيْفَ وَإِنْ يَظْهَرُوا عَلَيْكُمْ لا يَرْقُبُوا فِيكُمْ إِلا وَلا ذِمَّةً..)([10]) أعاد الاستفهام التعجيبي للتأكيد والتقرير([11]) .

ومنها قوله تعالى : (فَمَا لَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ..)([12]) هذا تعجيب من حالهم باستفهامين متواليين ؛ أي : أي شئ لكم كيف تحكمون باتخاذ هؤلاء شركاء لله ، وكلا الاستفهامين للتقريع والتوبيخ([1]) .

([1]) المائدة : ٤٣ .

([2]) الكشاف ج١ ص٦٦٩ .

([3]) الأنعام : ٨١ .

([4]) أبي السعود ج٣ ص١٥٥ .

([5]) الأعراف : ٩٣ .

([6]) تفسير الجلالين ج١ص٢٠٦ .

([7]) التوبة : ٧ .

([8]) تفسير البغوي ج٢ ص٢٧٠ .

([9]) فتح القدير ج٢ ص٣٣٩ .

([10]) التوبة : ٨ .

([11]) المرجع نفسه والجزء والصفحة .

([12]) يونس : ٣٥ .

وأيضاً منها قوله تعالى : (كَذَلِكَ كَذَّبَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ فَانْظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الظَّالِمِينَ)([2]) (فانظر كيف كان عاقبة الظالمين ، فيه وعيد لهم بمثل ما عوقب به من قبلهم)([3]) .

ومنها قوله تعالى : (وَأَغْرَقْنَا الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا فَانْظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُنْذَرِينَ)([4]) (فانظر كيف كان عاقبة المنذرين ، فيه تسلية لرسول الله صلى الله عليه وسلم وتهديد للمشركين وتهويل عليهم)([5]) .

ومنها قوله تعالى : (وَلَقَدِ اسْتُهْزِئَ بِرُسُلٍ مِنْ قَبْلِكَ فَأَمْلَيْتُ لِلَّذِينَ كَفَرُوا ثُمَّ أَخَذْتُهُمْ فَكَيْفَ كَانَ عِقَابِ)([6]) . (فكيف كان عقاب ، الاستفهام للتقريع والتهديد([7]).

ومنها قوله تعالى : (فَأَشَارَتْ إِلَيْهِ قَالُوا كَيْفَ نُكَلِّمُ مَنْ كَانَ فِي الْمَهْدِ صَبِيًّا)([8]) . (قالوا كيف نكلم من كان في المهد صبيا ، هذا الاستفهام للإنكار والتعجب من إشارتها إلى ذلك المولود بأن يكلمهم([9]) .

ومنها كذلك قوله تعالى : (وَأَصْحَابُ مَدْيَنَ وَكُذِّبَ مُوسَى فَأَمْلَيْتُ لِلْكَافِرِينَ ثُمَّ أَخَذْتُهُمْ فَكَيْفَ كَانَ نَكِيرِ)([10]) . (فكيف كان نكير ، والاستفهام للتعجب ، كأنه قيل : فما أشد ما كان إنكاري عليهم ، وفي الجملة إرهاب لقريش)([11]) .

ومنها قوله تعالى : (أَصْطَفَى الْبَنَاتِ عَلَى الْبَنِينَ مَا لَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ)([12]) . (ما لكم كيف تحكمون ، جملتان استفهاميتان ليس لأحدهما تعلق بالأخرى من

([1]) المرجع نفسه ج٢ ص٤٤٥ .

([2]) يونس : ٣٩ .

([3]) البيضاوي ج٣ ص١٩٩ .

([4]) يونس : ٧٣ .

([5]) فتح القدير ج٢ ص٤٦٣ .

([6]) الرعد : ٣٢ .

([7]) المرجع نفسه ج٣ ص٨٤ .

([8]) مريم : ٢٩ .

([9]) المرجع نفسه ج٣ ص٣٣٢ .

([10]) الحج : ٤٤ .

([11]) روح المعاني ج١٧ ص١٦٥ .

([12]) الصافات : ١٥٣-١٥٤ .

حيث الإعراب استفهم أولاً عما استقر لهم وثبت ، استفهام إنكار ، وثانياً استفهام تعجب من هذا الحكم الذي حكموا به ، والمعنى : أي شئ ثبت لكم تحكمون لله بالبنات وهم القسم الذي تكرهونه ، ولكم بالبنين وهم القسم الذي تحبونه ؟)([1]) .

ومنها قوله تعالى : (فَأَخَذْتُهُمْ فَكَيْفَ كَانَ عِقَابِ)([2]) وهذا تقرير فيه معنى التعجيب([3]) .

ومنها قوله تعالى : (فَكَيْفَ إِذَا تَوَفَّتْهُمُ الْمَلائِكَةُ يَضْرِبُونَ وُجُوهَهُمْ وَأَدْبَارَهُمْ)([4]) ومعنى الكلام التخويف والتهديد([5]) .

ومنها قوله تعالى : (فَكَيْفَ كَانَ عَذَابِي وَنُذُرِ)([6]) استفهام تقرير ، والمعنى حمل المخاطبين على الإقرار بوقوع عذابه تعالى بالمكذبين([7]) .

ومن المفسرين من يقول : إن المقصود من الاستفهام في هذه الآية التعظيم والوعيد([8]) .

ومنهم من يذهب إلى أن المراد بها التهويل والتعجب([9]) .

ومنها أيضاً قوله تعالى : (وَلَقَدْ كَذَّبَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ فَكَيْفَ كَانَ نَكِيرِ)([10]) وفيه تسلية للرسول صلى الله عليه وسلم وتهديد لقومه المشركين([11]) .

ومنها قوله تعالى : (مَا لَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ)([12]) . تعجيباً من حكمهم واستبعاداً له وإيذاناً بأنه لا يصدر عن عاقل([1]) .

([1]) فتح القدير ج٤ ص٤١٤ .

([2]) غافر : ٥ .

([3]) الكشاف ج٤ ص١٥٥ .

([4]) محمد : ٢٧ .

([5]) القرطبي ج١٦ ص٢٥٠ .

([6]) القمر : ١٦ ، ١٨ ، ٢١ ، ٣٠ .

([7]) الجلالين ج١ ص٧٠٦ .

([8]) البيضاوي ج٥ ص٢٦٦ .

([9]) فتح القدير ج٥ ص١٢٣ .

([10]) الملك : ١٨ .

([11]) البيضاوي ج٥ ص٣٦٤ .

([12]) القلم : ٣٦ .

ومنها قوله تعالى : (فَكَيْفَ تَتَّقُونَ إِنْ كَفَرْتُمْ يَوْمًا يَجْعَلُ الْوِلْدَانَ شِيبًا)([2]) وفي هذا تقريع لهم شديد وتوبيخ عظيم([3]) .

ومنها قوله تعالى : (فَقُتِلَ كَيْفَ قَدَّرَ)([4]) على طريق التعجب والإنكار والتوبيخ([5]) .

وقوله تعالى : (ثُمَّ قُتِلَ كَيْفَ قَدَّرَ)([6]) كرره للتأكيد([7]) .

وأخيراً قوله تعالى : (أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِأَصْحَابِ الْفِيلِ)([8]) استفهام تعجب([9]) .

المطلب السابع : تحليل معاني (أنى)

أنى تكون بمعنى كيف كقوله تعالى : (أَنَّى لَكِ هَذَا)([10]) تأويله : من أين لك هذا ؟ وقد يجازى بها .

وتكون بمعنى : من أين ، نحو قوله تعالى : (أَنَّى يَكُونُ لَهُ وَلَدٌ)([11]) والمعنيان متقاربان يجوز أن يتأول كل واحد منهما للآخر .

قال الكميت :

أنى ومن أين آبك الطرب من حيث لا صبوة ولا ريب

فجاء بالمعنين([12]) .

أنى وقد وردت في ثمانية وعشرين موضعاً من القرآن الكريم .

([1]) أبي السعود ج٩ ص١٧ .

([2]) المزمل : ١٧ .

([3]) فتح القدير ج٥ ص٣١٩ .

([4]) المدثر : ١٩ .

([5]) البغوي ج٤ ص٤١٦ .

([6]) المدثر : ٢٠ .

([7]) المرجع نفسه والجزء والصفحة .

([8]) الفيل : ١ .

([9]) الجلالين ج١ ص٨٢٢ .

([10]) آل عمران : ٣٧ .

([11]) الأنعام : ١٠١ .

([12]) كتاب حروف المعاني ج١ ص٦٢ .

منها قوله تعالى : (نِسَاؤُكُمْ حَرْثٌ لَكُمْ فَأْتُوا حَرْثَكُمْ أَنَّى شِئْتُمْ)([1]) أنى حرف استفهام يكون سؤالاً عن الحال والمحل ، معناه : كيف شئتم وحيث شئتم([2]) . كما جاء في تفسير هذه الآية : (أنى ، بمعنى : أين ، وكيف ، ومتى ، وتلزمها إن كانت بمعنى أين (من) ظاهرة ، أو مقدرة ، وهي شرطية حذف جوابها لدلالة الجملة السابقة عليه ، واختار بعض المحققين كونها هنا بمعنى : من أين ، أي : من أي جهة)([3]) .

والظاهر أن المعنى المراد من قوله تعالى : (أنى شئتم) التخيير والإباحة([4]) .

ومنها كذلك قوله تعالى : (وَقَالَ لَهُمْ نَبِيُّهُمْ إِنَّ اللَّهَ قَدْ بَعَثَ لَكُمْ طَالُوتَ مَلِكًا قَالُوا أَنَّى يَكُونُ لَهُ الْمُلْكُ عَلَيْنَا)([5]) . (أنى يكون له الملك علينا . المراد من الاستفهام هنا : من أين ، وكيف يكون والمعنى المراد الاستبعاد لأن يكون طالوت ملكاً عليهم لأنه ليس ممن يستحق ذلك . لذلك رد عليهم المولى عز وجل ، لما استبعدوا تملكه بسقوط نسبه وفقره ، بقوله تعالى على لسان نبيه : (قَالَ إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَاهُ عَلَيْكُمْ))([6]) .

كما جاء في تفسيرها : (والاستفهام حقيقي أو للتعجب)([7]) .

ومنها قوله تعالى : (أَوْ كَالَّذِي مَرَّ عَلَى قَرْيَةٍ وَهِيَ خَاوِيَةٌ عَلَى عُرُوشِهَا قَالَ أَنَّى يُحْيِي هَذِهِ اللَّهُ بَعْدَ مَوْتِهَا..)([8]) . (أنى يحي هذه الله بعد موتها ؟ اعترافاً بالقصور عن معرفة طريق الإحياء ، واستعظاماً لقدرة المحيي إن كان القائل مؤمناً

([1]) البقرة : ٢٢٣ .

([2]) تفسير البغوي ج١ ص١٩٩ .

([3]) تفسير روح المعاني ج٢ ص١٢٤ .

([4]) انظر تفسير ابن كثير ج٦ ص٦٢ ، وفتح القدير ج١ ص٢٢٦ .

([5]) البقرة : ٢٤٧ .

([6]) انظر تفسير أبي السعود ج١ ص٢٤٠ .

([7]) روح المعاني ج٢ ص١٦٦ .

([8]) البقرة : ٢٥٩ .

، واستبعاداً إن كان كافراً ، وأنى في موضع نصب على الظرف بمعنى : متى ، أو على الحال ، بمعنى : كيف)([1]) .

ويقول أبو السعود في تفسيره لهذه الآية : (وأيا ما كان معنى (أنى) سواء كانت بمعنى متى على الظرفية ، أو بمعنى كيف على الحالية ، فإن المراد بالاستفهام الاستبعاد)([2]) .

ومنها قوله تعالى : (قَالَ رَبِّ أَنَّى يَكُونُ لِي غُلامٌ وَقَدْ بَلَغَنِيَ الْكِبَرُ وَامْرَأَتِي عَاقِرٌ)([3]) . (قال ربي أنى يكون لي غلام .. استبعاداً من حيث العادة ، أو استعظاماً أو تعجباً ، أو استفهاماً عن كيفية حدوثه)([4]) .

ومنها قوله تعالى : (قَالَتْ رَبِّ أَنَّى يَكُونُ لِي وَلَدٌ وَلَمْ يَمْسَسْنِي بَشَرٌ..)([5]) تعجب ، أو استبعاد عادي ، أو استفهام عن أنه يكون بتزوج أو غير([6]) .

وقيل : ما استبعدت من قدرة الله تعالى شيئاً ، ولكن أرادت كيف يكون هذا الولد، أمن قبل زوج في المستقبل ؟ أم يخلقه الله ابتداء([7]) .

ومنها قوله تعالى : (أَوَلَمَّا أَصَابَتْكُمْ مُصِيبَةٌ قَدْ أَصَبْتُمْ مِثْلَيْهَا قُلْتُمْ أَنَّى هَذَا)([8]) . (وهذا على تقدير توجيه الإنكار والتقريع إلى صدور ذلك القول عنهم في ذلك الوقت خاصة ، وقد وجه إليهم الإنكار لاستبعادهم الحادثة مع مباشرتهم لسببها)([9]) .

([1]) تفسير البيضاوي ج١ ص٥٦٠-٥٦١ .

([2]) تفسير أبي السعود ج١ ص٢٥٣ .

([3]) آل عمران : ٤٠ .

([4]) تفسير البيضاوي ج٢ ص٣٦ .

([5]) آل عمران : ٤٧ .

([6]) المرجع نفسه ج٢ ص٤١ .

([7]) تفسير القرطبي ج٤ ص٩٢ .

([8]) آل عمران : ١٦٥ .

([9]) تفسير روح المعاني ج٤ ص١١٥ .

ومنها قوله تعالى : (انْظُرْ كَيْفَ نُبَيِّنُ لَهُمُ الآيَاتِ ثُمَّ انْظُرْ أَنَّى يُؤْفَكُونَ)([1]) (على سبيل التعجيب من أمرهم كيف يؤفكون إلى هذا الكفر مع وضوح أدلة التوحيد)([2]) .

ومنها قوله تعالى : (بَدِيعُ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ أَنَّى يَكُونُ لَهُ وَلَدٌ وَلَمْ تَكُنْ لَهُ صَاحِبَةٌ وَخَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ)([3]) . (أنى يكون له ولد .. للإنكار والاستبعاد ، أي : من كان هذا وصفه ، وهو أنه خالق السموات والأرض وما فيهما ، كيف يكون له ولد .. ثم بالغ في نفي الولد فقال : (وَلَمْ تَكُنْ لَهُ صَاحِبَةٌ))([4]) .

ومنها قوله تعالى : (فَذَلِكُمُ اللَّهُ رَبُّكُمُ الْحَقُّ فَمَاذَا بَعْدَ الْحَقِّ إِلا الضَّلالُ فَأَنَّى تُصْرَفُونَ)([5]) (فأنى تصرفون ، استفهام إنكاري ، بمعنى : إنكار الواقع واستبعاده والتعجيب منه ، وفيه من المبالغة ما ليس في توجيه الإنكار إلى نفس الفعل)([6]) .

ومنها أيضاً قوله تعالى : (أَنَّى لَهُمُ الذِّكْرَى وَقَدْ جَاءَهُمْ رَسُولٌ مُبِينٌ)([7]) . (رد لكلامهم واستدعائهم الكشف ، وتكذيب لهم في الوعد بالإيمان المنبئ عن التذكر والاتعاظ ، لما اعتراهم من الداهية ، أي : كيف يتذكرون ، أو من أين يتذكرون بذلك ويفون بما وعدوه من الإيمان عند كشف العذاب عنهم)([8]) .

المطلب الثامن : تحليل معاني (أي)

أي لها أربعة أوجه :

١/ تكون استفهاماً ، فيستفهم بها عن شئ من شئ هو بعضه ، كقولك : أي القوم أخوك ؟ .

([1]) المائدة : ٧٥ .

([2]) تفسير أضواء البيان ج١ ص٤١٩ .

([3]) الأنعام : ١٠١ .

([4]) تفسير فتح القدير ج٢ ص١٤٨ .

([5]) يونس : ٣٢ .

([6]) تفسير أبي السعود ج٤ ص١٤٢ .

([7]) الدخان : ١٣ .

([8]) المرجع نفسه ج٨ ص٦٠ .

٢/ وتكون جزاء ، كقولك : أيهم يكرمني أكرمه ، وكقوله تعالى : (أَيًّا مَا تَدْعُوا فَلَهُ الأَسْمَاءُ الْحُسْنَى)([١]) .

٣/ وتكون خبراً كتأويل الذي ، كقولهم : أيهم في الدار أخوك .

٤/ وتكون مدحاً وتعجباً ، كقولك : مررت برجل أي رجل .

قال الراعي النميري :

فأومأت إيماء خفياً لحبتر فلله عينا حبتر أيما فتى

وقيل هي يسأل بها عن التمييز بين الأجناس([٢]) .

وقد وردت (أي) في ثلاثة وأربعين موضعاً من القرآن الكريم .

منها قوله تعالى : (وَإِذَا تُتْلَى عَلَيْهِمْ آيَاتُنَا بَيِّنَاتٍ قَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِلَّذِينَ آمَنُوا أَيُّ الْفَرِيقَيْنِ خَيْرٌ مَقَامًا وَأَحْسَنُ نَدِيًّا)([٣]) . (أي الفريقين .. الظاهر أنه استفهام تقرير ليحملوا به ضعفاء المسلمين الذين هم في تقشف ورثاثة هيئة على أن يقولوا أنتم خير مقاماً وأحسن نديا منا([٤]) .

ومنها قوله تعالى : (وَيُرِيكُمْ آيَاتِهِ فَأَيَّ آيَاتِ اللَّهِ تُنْكِرُونَ)([٥]) . وفيه تقريع لهم وتوبيخ عظيم([٦]) .

وإضافة الآيات إلى الاسم الجليل لتربية المهابة وتهويل إنكارها([٧]) .

ومنها قوله تعالى : (تِلْكَ آيَاتُ اللَّهِ نَتْلُوهَا عَلَيْكَ بِالْحَقِّ فَبِأَيِّ حَدِيثٍ بَعْدَ اللَّهِ وَآيَاتِهِ يُؤْمِنُونَ)([٨]) فيها استبعاد إيمانهم بأي حديث بعد أن لم يؤمنوا بهذا القرآن([٩]) .

([١]) الإسراء : ١١٠ .

([٢]) حروف المعاني ص٦٢-٦٣ .

([٣]) مريم : ٧٣ .

([٤]) أضواء البيان ج٣ ص٤٨٤ .

([٥]) غافر : ٨١ .

([٦]) فتح القدير ج٤ ص٥٠٢ .

([٧]) تفسير أبي السعود ج٧ ص٢٨٦ .

([٨]) الجاثية : ٦ .

([٩]) أضواء البيان ج٧ ص١٨٨ .

ومنها قوله تعالى : (فَبِأَيِّ آَلاءِ رَبِّكَ تَتَمَارَى)([1]) . قيل : إن الخطاب لرسول الله صلى الله عليه وسلم وقيل : للإنسان على الإطلاق ، وهو أظهر . والاستفهام للإنكار([2]) .

ومنها قوله تعالى : (فَبِأَيِّ آَلاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ)([3]) يريد من هذه الأشياء المذكورة وكرر هذه الآية في هذه السورة تقريراً للنعمة وتأكيداً في التذكير بها .. يعدد على الخلق آلاءه ويفصل بين كل نعمتين بما ينبههم عليها([4]) .

(فَبِأَيِّ آَلاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ) والفاء لترتيب الإنكار والتوبيخ على ما فصل من فنون النعماء ، وصنوف الآلاء الموجبة للإيمان والشكر والتعرض لعنوان الربوبية المنبئة عن المالكية الكلية والتربية مع الإضافة إلى ضميرهم لتأكيد النكير وتشديد التوبيخ([5]) .

ومنها قوله تعالى : (بِأَيِّيكُمُ الْمَفْتُونُ)([6]) وهو تعريض بأبي جهل بن هشام والوليد بن المغيرة وأضرابهما ، وقوله تعالى بعد هذه الآية : (إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنْ ضَلَّ عَنْ سَبِيلِهِ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ)([7]) تعليل لما ينبئ عنه ما قبله من ظهور جنونهم بحيث لا يخفى على أحد ، وتأكيد لما فيه من الوعد والوعيد([8]) .

كذلك منها قوله تعالى : (سَلْهُمْ أَيُّهُمْ بِذَلِكَ زَعِيمٌ)([9]) ؛ أي : سل يا محمد الكفار موبخاً لهم ومقرعاً ، أيهم بذلك الحكم الخارج عن الصواب كفيل لهم بأن لهم في الآخرة ما للمسلمين([10]) .

([1]) النجم : ٥٥ .

([2]) روح المعاني ج٢٧ ص٧١ .

([3]) الرحمن : ١٣ .

([4]) تفسير البغوي ج٤ ص٢٦٨ .

([5]) تفسير أبي السعود ج٨ ص١٧٨ .

([6]) القلم : ٦ .

([7]) القلم : ٧ .

([8]) المرجع نفسه ج٩ ص١٢ .

([9]) القلم : ٤٠ .

([10]) فتح القدير ج٥ ص٢٧٥ .

وأيضاً منها قوله تعالى : (لأَيِّ يَوْمٍ أُجِّلَتْ)([1]) وهو تعظيم لليوم وتعجيب من هوله([2]) .

(لأَيِّ يَوْمٍ أُجِّلَتْ) هذا الاستفهام للتعظيم والتعجيب ، أي : لأي يوم عظيم يعجب العباد منه لشدته ومزيد أهواله ضرب لهم الأجل لجمعهم([3]) .

المطلب التاسع : تحليل معاني (كم)

(كم) لها وجهان : الأول : تكون سؤالاً عن عدد ، كقولك : كم مالك ؟ وكم درهماً لك ؟ .

الثاني:وتكون خبراً بمعنى رب،كقولك : كم غلام قد ملكت ، وقد تكون بمعناها([4])

وقد جاءت (كم) في عشرين موضعاً من القرآن الكريم .

منها قوله تعالى : (سَلْ بَنِي إِسْرَائِيلَ كَمْ آتَيْنَاهُمْ مِنْ آيَةٍ بَيِّنَةٍ وَمَنْ يُبَدِّلْ نِعْمَةَ اللَّهِ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَتْهُ فَإِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ)([5]) .

و(كم) خبرية أو استفهامية للتقرير ، وآية تمييزها مجرور بمن([6]) .

ومنها قوله تعالى : (قَالَ الَّذِينَ يَظُنُّونَ أَنَّهُمْ مُلاقُو اللَّهِ كَمْ مِنْ فِئَةٍ قَلِيلَةٍ غَلَبَتْ فِئَةً كَثِيرَةً بِإِذْنِ اللَّهِ وَاللَّهُ مَعَ الصَّابِرِينَ)([7]).وكم خبرية أو استفهامية مفيدة للتكثير([8]) .

ومنها قوله تعالى : (أَوْ كَالَّذِي مَرَّ عَلَى قَرْيَةٍ وَهِيَ خَاوِيَةٌ عَلَى عُرُوشِهَا قَالَ أَنَّى يُحْيِي هَذِهِ اللَّهُ بَعْدَ مَوْتِهَا فَأَمَاتَهُ اللَّهُ مِئَةَ عَامٍ ثُمَّ بَعَثَهُ قَالَ كَمْ لَبِثْتَ قَالَ لَبِثْتُ

([1]) المرسلات : ١٢ .

([2]) تفسير البيضاوي ج٥ ص٤٣٣ .

([3]) فتح القدير ج٥ ص٣٥٧ .

([4]) حروف المعاني ج١ ص٦٠ .

([5]) البقرة : ٢١١ .

([6]) انظر تفسير البيضاوي ج١ ص٤٩٤ .

([7]) البقرة : ٢٤٩ .

([8]) تفسير أبي السعود ج١ ص٢٤٣ .

يَوْمًا أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ)([1]) . (قال كم لبثت .. ليظهر له عجزه عن الإحاطة بشئونه تعالى ، وكم منصوبة على الظرفية ، وتمييزها محذوف ؛ أي : كم وقتاً لبثت([2]) .

كذلك منها قوله تعالى : (أَلَمْ يَرَوْا كَمْ أَهْلَكْنَا مِنْ قَبْلِهِمْ مِنْ قَرْنٍ..)([3]) وكم يحتمل أن تكون الاستفهامية ، وأن تكون الخبرية ، وهي معلقة لفعل الرؤية عن العمل فيما بعده ، وفيه تهديد لهم([4]) .

ويقول أبو السعود : (وكم استفهامية أو خبرية معلقة مفيدة التكثير)([5]) .

ومنها قوله تعالى : (وَكَمْ مِنْ قَرْيَةٍ أَهْلَكْنَاهَا فَجَاءَهَا بَأْسُنَا بَيَاتًا أَوْ هُمْ قَائِلُونَ)([6]) خوف الله تعالى في هذه الآية الكريمة الكفار الذين كذبوه – صلى الله عليه وسلم – بأنه أهلك كثيراً من القرى بسبب تكذيبهم الرسل([7]) .

والمعنى المستفاد منها التهديد ، وكم في هذه الآية هي الخبرية المفيدة للتكثير([8]) .

ومنها قوله تعالى : (وَكَمْ أَهْلَكْنَا مِنَ الْقُرُونِ مِنْ بَعْدِ نُوحٍ وَكَفَى بِرَبِّكَ بِذُنُوبِ عِبَادِهِ خَبِيرًا بَصِيرًا)([9]) وفيه تخويف لكفار مكة([10]) .

وأيضاً منها قوله تعالى : (وَكَمْ أَهْلَكْنَا قَبْلَهُمْ مِنْ قَرْنٍ هُمْ أَحْسَنُ أَثَاثًا وَرِئْيًا)([11])

وفي هذه الآية كم خبرية للتكثير([12]) .

([1]) البقرة : ٢٥٩ .

([2]) المرجع نفسه ج١ ص٢٥٣ .

([3]) الأنعام : ٦ .

([4]) فتح القدير ج٢ ص١٠٠ .

([5]) أبي السعود ج٣ ص١١٠ .

([6]) الأعراف : ٤ .

([7]) أضواء البيان ج٢ ص٦٠٥ .

([8]) فتح القدير ج٢ ص١٨٨ .

([9]) الإسراء : ١٧ .

([10]) المرجع نفسه ج٣ ص٢١٤ .

([11]) مريم : ٧٤ .

([12]) روح المعاني ج١٦ ص١٢٥ .

ومنها قوله تعالى : (وَكَمْ أَهْلَكْنَا قَبْلَهُمْ مِنْ قَرْنٍ هَلْ تُحِسُّ مِنْهُمْ مِنْ أَحَدٍ أَوْ تَسْمَعُ لَهُمْ رِكْزًا)([1]) فيها وعد لرسول الله صلى الله عليه وسلم في ضمن وعيد الكفرة بالإهلاك وحث له صلى الله عليه وسلم على الإنذار([2]) .

ومنها قوله تعالى : (وَكَمْ قَصَمْنَا مِنْ قَرْيَةٍ كَانَتْ ظَالِمَةً وَأَنْشَأْنَا بَعْدَهَا قَوْمًا آخَرِينَ)([3]) ثم أوعدهم وحذرهم ما جرى على الأمم المكذبة ، وكم في محل نصب على أنها مفعول قصمنا وهي الخبرية المفيدة للتكثير([4]) .

ومنها قوله تعالى : (قَالَ كَمْ لَبِثْتُمْ فِي الأَرْضِ عَدَدَ سِنِينَ)([5]) وفيه توبيخ على إنكارهم الآخرة([6]) .

ومنها قوله تعالى : (وَكَمْ أَهْلَكْنَا مِنْ قَرْيَةٍ بَطِرَتْ مَعِيشَتَهَا فَتِلْكَ مَسَاكِنُهُمْ لَمْ تُسْكَنْ مِنْ بَعْدِهِمْ إِلا قَلِيلا وَكُنَّا نَحْنُ الْوَارِثِينَ)([7]) هذا تخويف لأهل مكة من سوء عاقبة قوم كانوا في مثل حالهم([8]) .

كذلك منها قوله تعالى : (كَمْ أَهْلَكْنَا مِنْ قَبْلِهِمْ مِنْ قَرْنٍ فَنَادَوْا وَلاتَ حِينَ مَنَاصٍ)([9]) وكم هي الخبرية الدالة على التكثير([10]) . وفيها وعيد لذوي العزة والشقاق([11]) .

وأيضاً منها قوله تعالى : (وَكَمْ أَرْسَلْنَا مِنْ نَبِيٍّ فِي الأَوَّلِينَ وَمَا يَأْتِيهِمْ مِنْ نَبِيٍّ إِلا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ)([12]) وفيه تعزية للنبي صلى الله عليه وسلم([1]) .

([1]) مريم : ٩٨ .

([2]) تفسير أبي السعود ج٥ ص٢٨٤ .

([3]) الأنبياء : ١١ .

([4]) فتح القدير ج٣ ص٤٠٠ .

([5]) المؤمنون : ١١٢ .

([6]) روح المعاني ج١٨ ص٦٩ .

([7]) القصص : ٥٨ .

([8]) الكشاف ج٣ ص٤٢٨ .

([9]) ص : ٣ .

([10]) فتح القدير ج٤ ص٤٢٠ .

([11]) الكشاف ج٤ ص٧٣ .

([12]) الزخرف : ٦-٧ .

وكم في هذه الآية هي الخبرية التي معناها التكثير ، وفي السياق تسلية منه سبحانه وتعالى لرسوله صلى الله عليه وسلم([2]) .

كما أن منها قوله تعالى : (وَكَمْ مِنْ مَلَكٍ فِي السَّمَوَاتِ لا تُغْنِي شَفَاعَتُهُمْ شَيْئًا إِلا مِنْ بَعْدِ أَنْ يَأْذَنَ اللَّهُ لِمَنْ يَشَاءُ وَيَرْضَى)([3]) كم هنا هي الخبرية وفيها توكيد ، وإبطال لما يتمنونه([4]) .

([1]) تفسير البغوي ج٤ ص١٣٤ .

([2]) فتح القدير ج٤ ص٥٤٧ .

([3]) النجم : ٢٦ .

([4]) المرجع نفسه ج٥ ص١٠٩ .